واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون (156) الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون (157)

الأعراف 147 149 من كل سبط ستة فلغوا اثنين وسبعين رجلا فقال ليتخلف منكم رجلان فقعجد كالب ويوشع لميقاتنا لاعتذارهم معن عبادة العجل فلما أخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة قال رب لو شئت أهلتكتهم من قبل بما كان منهم من عبادة العجل وإياى لقتلى القبطى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا أتهلكنا عقوبة بما فعل الجهال منا وهم أصحاب العجل إن هى إلا فتنتك ابتلاؤك وهو راجع إلى قوله إنا قد فتنا قومك من بعدك فقال موسى هى تلك الفتنة التى أخبرتنى بها أو هى ابتلاء الله تعالى عباده بما شاء ونبلوكم بالشر والخير فتنة تضل بها بالفتنة من تشاء من علمت منهم اختيار الضلالة وتهدى بها من تشاء من علمت منهم اختيار الهدى أنت ولينا مولانا القائم بأمورنا فاغفر لنا وارحمنا و أنت خير الغافرين واكتب لنا وأثبت لنا واقسم فى هذه الدنيا حسنة عافية وحياة طيبة وتوفيقا فى الطاعة وفى الآخرة الجنةة إنا هدنا اليك تبنا اليك وهاد إليه يهود إذا رجع وتاب والهد جمع هائد وهو التائب قال عذابى من صفته اتى أصيب به من أشاء أى لا أعفو عنه ورحمتى وسعت كل شيء أى من صفة رحمتى أنها واسعة تبلغ كل شئء ما من مسلم ولا كافر إلا وعليه أثر رحمتى فى الدنيا فسأكبتها أى هذه الرحمة للذين يتقون الشرك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويؤتون الزكوة المفروضة والذين هم بآياتنا يجميع كتبنا يؤمنون لا يكفرون بشئ منها الذين يتبعون الرسول الذى نوحى الهي كتابا مختصا به وهو القرآن النبى صاحب المعجزات الأمى الذى يجدونه أى يجد نعته أولئك الذين يتبعونه من بنى إسرائيل مكتوبا عندهم فى التوارة والانجيل يامرهم بالمعروف يخلع الأنداد وانصاف العباد وينهاهم عن المنكر عبادة الأصنام وقيطعة الأرحام

ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة

قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (158) ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (159)

الأعراف 149 151 كالشحوم وغيرها أو ما طاب فى الشريعة مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث كالدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو ما خبث فى الحكم كالربا والرشوة ونحوهما من المكاسب الخبيثة ويضع عنهم اصرهم هو الثقل الذى يأصر صابحه أى يحبسه عن الحراك لثقله والمراد التكاليف الصعبة كقتل النفس فى توبتهم وقطع الأعضاء الخاطئة آصارهم شامى على الجمع والأغلال التى كانت عليهم هى الأحكام الشاقة نحو بت القضاء بالقصاصا عمدا كان أو خطأ من غير شرع الدية وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وطهور الذنوب على أبواب البيوت وشبهت بالغل للزومها لزوم الغل فالذين آمنوا به بمحمد صلى الله عليه وسلم وعزروه وعظموه أو منعوه من العدو حتى لا يقوى علهي عدو و أصل العذر المنع ومنع التعزير لأنه منع عن معاودة القبيح كالحد فهو المنع ونصروه وابتعو النور الذى أنزل معه أى القرآن ومع متعلق باتبعوا أى واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبب والعمل بسنته أولئك هم المفلحون الفائزون بكل خير والناجون من كل شر قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم بعث كل سول إلى قومه خصاة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى كافة الانس وكافة الجن جميعا حال من اليكم الذى لعه ملك السموات والارض فى محل النصب باضمار أعنى وهو نصب على المدح لا إله إلا هو بدل من الصلة وهى له ملك السموات والارض وكذلك يحيى ويميت وفى لا إله إلا هو بيان للجملة قبلها لأن من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة وفى يحيى ويميت بيان لاختصاصه بالإليهة إذ لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره فآمنوا باله ورسوله النى الأمى الذى يؤمن بالله وكلمات أى الكتب المنزلة واتبعوا لعلكم تهتدون ولم يقل فآمنوا بالله وبى بعد قوله إنى

رسول الله اليكم لتجرى عليه الصات التى أجريت عليه ولما فى الالتفات من مزية البلاغة وليعلم أن الذى وجب الإيمان به هو هذا الشخص الموصوف بانه النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته كائنا ن كان انا أو غيرى اظهار للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق أى يهدون الناس محقين أو بسبب الحق الذى هم عليه وبه يعدلون وبالحق يعدلون

وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (160) وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين (161) فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون (162)

الأعراف 152 154 بينهم فى الحكم لا يجورون قيل هم قوم وراء الصين آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج أو هم عبد الله بن سلام واضرابه وقطعناهم وصيرناهم قطعنا أى فرقا وميزانا بعضهم من بعض اثنتى عشرة أسباطا كقولك اثنتى عشرة قبيلة والأسبط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتى عشرة قبيلة من اثنتى عشر ولدا من ولد يعقول عليه السلام نعم مميزا ما عدا العشرة مفردة فكان ينبغى أن يقال اثنى عشر سبطا لكن المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباط موضع قبيلة أمما بدل من اثنتى عشرة أى وقطعناهم أمما لأن كل أسبط كانت أمة عظيمة وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فضرب فانبجست فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم هو اسم جمع غير تكسير وظللنا علهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم فى اليته وانزلنا عليهم المن والسولى وقلنالهم كلوا من طيات ما رزقناكم وما ظلمونا أى وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكم كانوا أنفسهم ظلمون ولكم كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال

ظلمهم إليهم واذ قيل لهم واذكر إذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية بيت المقدس ولكوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم تغفر لكم مدنى وشامى خطيئاتكم مدنى خطاياكم أبو عمرو وخطيئتكم شامى سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون لا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها فى هذه السورة وبين قوله فى سورة البقرة ادخلوا هذه القرية فكلوا الوجود والسكنى وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران

واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون (163) وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون (164) فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون (165) فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين (166)

الأعراف155 157 وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لأنه استئناف مرتب على قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له ستزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وأرسلنا وأنزلنا ويظملون ويفسقون من واد واحد وسئلهم واسأل اليهود عن القرية أيلة أو مدين وهذا السؤال للتقريع بقدينم كفرهم التى كانت حاضرة البحر قريبة منه إذ يعدون فى السبت إذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم فى يوم السبت وقد نهوا عنه إذ يعهدون فى محل الجر بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها لكانه قيل واسألهم من أهل القرية وقت عدوانهم فى السبت وهو من بدل الاشتمال إذ تأتيهم منصوب بيغدون أو يدل بعد بدل حيتانهم جمع حوت أتدلت الواو ياء لسكونها وإنكسار ما قبلها يوم سبتهم شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد والمعنى إذ يعدون فى تعظيم هذا اليوم وكذا قوله

يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ويم ظرف لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بفسقهم و إذ قالت معطوف على إذ يعدون وحمه كحمه فى الإعراب أمة منهم تجماعة من صلحاء القرية الذين أيسوا من وعظهم بد ما ركبوا الصعب والذلولو فى موعظتهم لآخرين لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا و إنما قاوال ذلك لعلهم أن الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة إلى ربكم أى موعظتنا ابلاء عذر الىالله لئلا ننسب فى النهى عن المنكر إلى التفريط معذرة حفص على أنه مفعول له أى وعظناهم للمعذرة ولعلهم يتقون ولطمعنا فى أن يتقوا فلما نسوا أى أهل القرية لما تركوا ماذكروا به ماذكرهم به الصالحون ترك الناسى لما ينساه أنجينا الذين ينهون عن السوء من العذاب الشديد وأخذنا الذين ظلموا الراكبين للمنكر والذين قالوا لم تعظون من الناجين فعن الحسن نجت فرقتان وهلكت

وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم (167) وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون (168) فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون (169)

الأعراف 157 161 فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان بعذاب بئيس شديد يقال يؤس يبؤء بأسا إذا اشتد فهو بئيس بئس شامى بيس مدنى على وزن فيعل أبو بكر غير محاد بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا هلم كونوا قرة خاسئين أى جعلناهم قردة أذلاء مبعدين وقيل فلما عتوا تكرير لقلوه فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ قيل صارد الشبان قردة والشيؤهخ خنازير وكانوا يعرفون أقاربهم ويبكون ولا يتكلمونه والجمهور على أنها ماتت عبد ثلاثة أيام وقيل بقيت وتناسلت و إذ تذن ربك أى أعلم وأجرى مجرى فعل

القسم ولذا أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن عليهم أى كتب على نفسه ليسقطن على اليهود إلى يوم القيامة من يسومهم من توليهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر إن ربم لسريع العقاب للكافر و غنه لفغور رحيم للمؤمنين وقطعناهم فى الار وفرقناهم فيها فلا تخلوا بلد من فرقة أمما منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالنمدينة أو الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الفسقة ومحل دون ذلك الرفع وهو صفة لموصوف محذوف أى ومنهم ناس منحطون عن الصلاح وبلوناهم بالحسنات والسئات بالنعم والنقم والخصب والحدب لعلهم يرجعون ينتهوه فينيبون فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفد البدل السوء بخلاف الخف فهو الصالح ورثوا الكتاب التوراة ووقفوا على ما فيها من الأوامر والنواهى والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها يأخذون عرض هذا الأدنى هو حال من الضمير فى ورثوا والعرض المتاع أى حطام هذ الشئ الأدنى يريد لدينا وما يتمتع به منها من الدنوا بمعنى القرب لأنه عاجل قريب والمراد ما كانوا يأخذونه من الزش فى الأحكام على تحريف الكلم وفى قوله هذا الأدنى تخسيس وتحقير ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذه الله بما أخذنا والفعل مسند إلى الأخذ أو إلى الجار والمجرور أى لنا و إن يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال

والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين (170) وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون (171) وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين (172)

الأعراف 161 164 قوله تعالى يرجون المغفر وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أى الميثاق المذكور فى الكتاب أن لا يقولون على الله إلا الحق أى اخذ عليهم الميثاق فى مكتابهم إلا يقولوا على الله إلا الصدق وهو عطف بيان

لميثاق الكتاب ودرسوا مافيه روقرءوا ما فى الكتاب هو عطف على ألم يؤخذ عليهم لأنه تقرير فكأنه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا مافيه والداعر الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشا والمحارم أفلا يعقلون أنه كذلك وبالتاء مدنى وحفص والذين يمسكون بالكتاب يسمكون أبو بكر والامسكاك والتمسيك والتمسك الاعتصام والتعلق بشئ وأقاموا الصلوة خص الصلاة مع أن التمسك بالكتاب يشتمل على ككل عبادة لانها عما الدين مبتدأ والخبر انا لا نضيع أجر المصلحين أى انا لا نضيع أجرهم وجاز أن يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون وانا لا نضيع اعتراض وإذ نتقنا الجبل فوقهم واذكر إذ قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقكم الطور كأنه ظلة هى مكل ما أظلك من سقيفة أو سحاب وطنوا أنه واقع بهم وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك رانهم أبو أن يقبلوا احكام التوارة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رءوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وقيل لهم أن قبلتموها بما فيها و إلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خركل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو نيظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد إلى على حاجبيه الأيس ويقولون هى السجدة التى رفعت عنها بها العقوبة وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مساقة وتكاليفه واذكروا ما فيهر من الأوامر والنواهى ولا تنسوه لعلكم تتقون مما أنتم عليه و إذ أخذ ربكم من بنى آدم أى واذكر اخذ ذرياتهم من ظهورهم غخراجهم من أصلاب آبائهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا هذا من بابا التمثيل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم التى ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الهدى والضلالة فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال

أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون (173) وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون (174) واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين (175) ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (176)

الأعراف 164 168 لهم ألست بربكم وكانهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بواحدانيتك أن بقولوا مفعلو له أى فعلنا ذلك من نصب الادلة الشهادة على صحتها العقول كراهة أن يقولوا يوم القيامة أن كنا عن هذا غافلين لم تنبه عليهم أو يقولوا اةو كراهة أن يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذؤية من بعدهم فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلة على التويحد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا غزر لهم فى الاعراض عنه والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآياتهم فى الشرك ادله التوحيد منصوبة لهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون أى كانوا السبب فى شركنا لتأسهسهم فى الشرك وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون عن شركهم نصفهلا إلى هذا ذه بالمحققون من أهل التفسير منهم الشيخ أبو منصور والزجاج والزمخشرى وذهب جمهور المفسرين أن أن الله تعالى اخرج ذرية آدم من ظهر آدم مثل الذر وأخذ عليهم الميثاق انهه ربهم بقوله ألست بربكم فأجابوه بلى قالوا وهى الفطرة التى فطر الله الناس عليها وقال ابن عباس رضى الله عنهما أخرج من ظهر آدم ذرية وأراه اباهم كهيئة الذر وأعطاهم العقل وقال هؤلاء ولدك اخذ عليهم الميثاق أن يعبدونى قيل كان ذلك قبل دخول الجنة بين مكة والطائف وقيل بعد النزول من الجنة وقيل فى الجنة والحجة للأولين أنه قال من بنى آدم من ظهورهم ولم يقل من ظهر آدم وأنا لا نتذكر ذلك فانى يصير حجة ذرياتهم مدنى وبصري وشامى أن تقولوا أو تقولوا أبو عمرو واتل عليهم على اليهود نبأ الذى آتيناه آياتنا هو عالم من علماء بنى إسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء أو تى علم بعض كتب الله فانسلخ منها فخرج من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روى أن قومه طلبوا منه أن يدعوا على موسى ومن معه فابى فلم يزالوا به حتى فعل وكان عنده اسم الله الأعظم ولو شئنا لرفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بها بتلك الايت ولكنه أخلد إلى الأرض مال إلى الدنيا ورغب فيها واتبع هواه فى ايثار الدنيا ولذاتها على الآخرة ونعيمها فمثله كمثل الكلب إن تحل عليه أى تزجره وتطرده يلهث أو تتركه غير مطرود يلهث والمعنى فصفعه التى هى مثل فى الخسة والضعة كصفة الكلب فى أخس أحواله وأذلها وهى حال دوام اللهث به صواء حمل عليه أى شد عليه وهيج

فطرد أو ترك غير متعرض له بالجمل عليه وذلك أن سائر الحيوان

ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون (177)
من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون (178)
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها
ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل
هم أضل أولئك هم الغافلون (179)

الأعراف 168 170 لا يكون منه اللهث إلا إذا حرك اما الكلب فيلهث فى الحالين فكان مقتضى الكلام أن يقال ولكنه أخلد إلى الأرض فخططناه ووضعنا منزلته فوضع هذا التمثيل موضع فخططاه أبلغ حط ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لا هنا فى الحالين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسنانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب وقيل معناه هو ضال وعظ أو ترك وعن عطاء من علم ولم يعمل فهو كالكلب ينبح أن طرد أو ترك ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من الهود بع أن قرءوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة وذكر القرآن العجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه فاقصص القصص أى قصص بلعم الذى هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا نحو سيرته ساء مثلا القونم الذين كذبوا بآياتنا أى مثل القوم فحذف المضاف وفاعل ساء مضمر أى ساء المثل مثلا وانتصاب مثلا على التمييز وأنفسهم كانوا بظلمون معطوف على كذبوا فيدخل فى حيز الصلة أى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم انفسهم أو منقطع عن الصلة أى وما ظلموا إلا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص تة زحصزت أنفسهم بالظلم لم يتعد إلى غيرها من يهد الله فهو المهتدى حمل على من الله البيان كما قالت المعتزلة لا ستى الكافر والمؤمن إذ البيان ثابت فى حق الفريقين فدل أنه من الله تعالى التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس هم الكافر من الفريقين المعرضون عن تدبر آيات الله والله تعالى علم منهم اختيار الكفر فشاء منهم الكفر وخلق فيهم ذلك وجعل مصيرهم تجهنم لذلك ولا

تنافى بين هذا وبين قوله وماخلقت الجن والإنس إلا ليغبدون لأنه إنما خلق منهم للعبادة من علم أنه بعديه و انا من علم أنه يكفر به فإنما خلقه لما علم أنه يكون منه فالحاصل أن من علم منه فى الأزل أنه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن علم منه أن يكون منه الكفر خلقه لذلك وكم من عام يراد به الخصوص وقول المعتزلة بأن هذه لام العاقبة أى لما كان عاقبتهم جهنم جعل كانهم خلقوا لها فرارا عن ارادة المعاصى عدول عن الظاهر لهم قلوب لا يفقهون بنا الحق ولا يتفكرون فيه ولهم أعين لا يبصرون بها الرشدة ولهم أذان لا يسمعون بها الوعظ أولئك كالأنعام فى عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتفكر بل

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون (180) وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (181) والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (182) وأملي لهم إن كيدي متين (183) أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين (184)

الأعراف 170 175 هم أضل من الأنعام لأنهم كابروا العقول وعاندوا الرسول وارتكبوا الفضلو فالأنعام تطلب منافعها وتهرب عن مضارها وهم لا يعلمون مضارهم حيث اختاروا الناس وكيف يستوى للمكلف المأمور والمخىل المعذور فالآدمى روحانى شهوانى سماوى ارضى فإن غلب روحه هواه فاق ملائكة السموات و إن غلب هواه روحه فاقته بهائم الأرض أولئك هم الغافلون الكاملون فى الغفلة ولله الأسماء الحسنى التى هى اسن الأسماء لانها تدل على معان حسنة فمنها ما يستحقه بحقائقه كالقديم قيل كل شيء والباقى بعد كل شيء والقادر على كل شيء والعالم بكل شيء والواحد الذى ليس كمثله شيء ومنها ما تستحسنه الانفس لآثارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يوجب التخلق به كالفضل والجبار والمتكبر فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين يلحدون فى أسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولوا يا سخى يا رفيق لأنه لم يسم نفسه بذلك ومن الالحاد تسميته بالجسم

والجوهر والعقل والعلة يلحدون حمزة لحد الحد مال سيجزون ماكانوا يعملون وممن خلقنا للجنة لأنه فى مقابلة ولقد ذرأنا لجهنم أمه يهدون بالحق وبه يعدلون فى أحكامهم قيل هم العلماء والدعاة إلى الدين وفيه دلالة على إجماع كل عصر حجة والذين كذوبا بآياتنا سنستدرجهم جهنم سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم من حيث لا يعلمون ما يرادبهم وذلك أن يواتر الله نعمه علهم مع أنهماكهم فى الغنى فكلما جدد الله عليهم نعمة ازدادوا بطر وجددوا معصية فيتدرجون فى المعاصى بسبب ترادف النعم ظانين أن ترادف النعم اثره من الله تعلى وتقريب و انماا هو خذلان منه وتبعيد وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاتنزال درجة وأملى لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل فى حكم السين أى أمهلهم إن كيدى متين أخذى شديد سماه كيدا لأنه شبيه بالكيد من حيث إنه فى الظاهر احسان وفى الحقيقة خذلان ولما نسبوا النبى صلى الله عليه وسلم إلى الجنون نزل أو لم يتفكروا ما بصاحبهم محمد عليه السلام وما نافية بعد وقف أى أولم يتفكروا فى قولهم ثم نفى عنه الجنون بقوله ما بصاحبهم من جنة جنون إن هو إلا نذير مبين منذر من الله موضع إنذاره أو لم ينظروا نظر استدلال فى ملكون السموات و الأرض

أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون (185) من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون (186) يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (187)

الأعراف 175 177 الملكوت الملك العيم وا خلق الله من شس وفميا خلق الله مما يقع عليه اسم الشئ من أجناس لا يحصرها العدد و أن عسى أن ممخففة من الثقيلة وأصله و أنه عسى والضمير ضمير الشأن وهو فى موضع الجر بالعطف على ملكوت والمعنى أو لم ينظروا فى أن الشأن والحديث عسى أن يكون قد افترب أجلهم

ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وماينجيهم قبل مفاجأة الأجل وحلول العقاب فبأى حيدث بعده بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وهو متعلق بعسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فمالهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضح الحق وبأى حديث أحق منه يريدتون أن يؤمنوا به من يضلل الله فلا هادى له أى يضلله الله ويذرهم بالياء عراقى وبالجزم حمزة وعلى عطكفا على محل فلا هاجى له كأنه قيل من صيضلل الله لا يهده أحد ويذرهم والرفع على الاستئناف أى وهو يذرهم الباقون بالنون فى طغيانهم كفرهم يعمهون يتحيرون ولما سألت اليهود أو قريش عن الساعة متى تكون نزل يسالونك عن الساعة هى من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسباها أو لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق أيان متى واشتقاقه من أى فعلان منه لأن معناه أى وقت مرساها ارساؤها مصدر مثل المدخل بمعنى الادخال أو وقت إرسائها أى إثباتها والمعنى متى يرسيها الله قل إنما علمها عند ربى أى علم وقت إرسائها عنده قد استأثر به لم يخبربه أحدا من ملك مقرب ولا نبى مرسل ليكون ذلك ادعى إلى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها إلا هو لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها إلا هو توحده ثقلت فى السموات والارض أى كل من أهل ها عليه أو ثقلت فهيا لأن اهلها يخافون شدائدها وأهوالها لا تأتيكم إلا بغتة فجاة على غفلة منكم يسئلونك كأنك حفى عنها كأنمك علام بها وحقيقته كأنكم بليغ فى السؤال عنها لأن من بالغ فى المسألة عن الشئ والتنقير عنه استحكم علمه فيها و أصل هذا التركيب المبالغة ومنه احفاء الشارب أو عنها متعلق يسئلونك أى يسئلونك عنها كانك حفى أى عالم بها قل إنما علمها عند الله وكرر يسئلونك و إنما

قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون (188) هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين (189) فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون (

الأعراف 177 180 علمها عند الله للتأكيد ولزيادة كانك حفى عنها
وعلى هذا تكرير العلماء فى كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة منهم
محمد بن الحسن رحمه الله ولكن اكثر الناس لا يعلمو أنه الختص
بالعمل بها قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله هو اظهار
للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب أى انا عبد
ضعفيف لا أملك لنفى اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك إلا ما شاء
مالكى من النفع لى والدفع عنى ولو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من
الخير وما مسنى السوء أى لكانت حالى على خلاف ما هى عليه من
استكثار الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسنى شيء منها
ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى فى الحروب وقيل الغيب لاجل
والخير العمل والسوء الوجل وقيل لاستكثربت لاعتددت من الخصب
للجدب والسوء الفقر وقد رد إن انا إلا نذير وبشير يتعلق بالنذير
والبشير إن انا إلا عبد أرسلت نذيرا وبشيرا وما من شأنى أن أعلم
الغيب واللام فى لقوم يؤمنون يتعلق بالنذير والبشير لأن النذارة
والبشارة إنما ينفعان فيهم أو بالبشير وحده والمتعلق بالنذير محذوف
أى إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون هو الذى خلقكم من نفس
واحدة هى نفس آدم عليه السلام توجعل منها زوجهخا حواء خلقها
من جسد آدم من ضلع من أضلاعه ليسكن اليها ليطمئن ويميل لأن
الجنس اميل خصوصا ااذ كان بعضامنه كما يسكنم الإنسان إلى ولده
ويبحه محبة نفسه لكونه بضعة منه وذكر ليسكم بعدما أنث فى قوله
واحدة وخلق منها زوجها ذهابا إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها
آدم فلما نغشاها جامعها حملت حملا خفيفا خف غعليها ولم تلق منه
ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذى ولم تستثقله كما
يستثقلنه فمرت به فمضت به إلى وقت ميلاده من غير اخداج ولا
إزلاق أو حملت حملا خفيفا يعنى االنطفة فمرت به فقامت وبه
وقعدت فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها دعوا الله ربهما دعا آدم
وحواء ربهما ومالك امرهما الذى هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ إليه
فقالا لئن آتيتنا صالحا للئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدنه أو ولدا
ذكرا لأن الذكروة من الصلاح لنكونن من الشاكرين لك والضمير فى
آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما صالحا
أعطاهما ما طلبناه من الولد الصالح السوى جعلا له شركاء

أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون (191) ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون (192) وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون (193) إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين (194) ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون (195)

الأعراف 180 185 أى جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك فيما آتاهما أى آتى أولادهما دليله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير و آدم وحواء بريئان من الشرك ومعن اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزة وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصى أى هو الذى خلقكم من نفس واحدة قصى ودعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوى جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهماولأعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك شركا مدنى و أبو بكر أى وذوى شرك وهم الشركاء أيشركون مالا يخلق شيئا يعنى الأصنام رر وهم يخلقون أجريت الأصنام مجرى اولى العلم بيناء على اعتاقدهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى ايشركون مالا يقدر على خلق شيء وهم يخلقون لأن الله خالقهم أو الضمير فى وهم يخلقون للعابدين أى أيشركون مالا يخلق شيئا وهم مخلوقا الله فليعبدوا خالقهم أو للعابدين والمعبودين وجمعهم كاولى العمل تغليبا للعابدين ولا يشستطيعون لهم لعبدتهم نصارا ولا أنفسهم ينصرون فيدفعون عنهم و إن تدعوهم وان تدعوا هذه الأصنام إلى الهدى إلى ما هو هدى ورشاد أو إلى أن يهدوكم أى وان تطبوا منخم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم ابل مرادكم وطلبتمكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله لا يتبعوكم نافع سواء عليكم ادعوتموهم أم انتم صامتون عن دعائهم فى أنه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم والعهدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية لرءوس الآى إن الذين تدعون من دون

الله أى تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم أى مخلقون مملوكون امثالكم فادعوهم لجلب نفع أو دفع ضر فليسحجيبوا لكم فليجيبوا إن كنتم صادقين فى أنهم آلهة ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم فقال ألهم أرجل يمشون بها مشيكم

إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين (196) والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون (197) وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون (198) خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (199) وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم (200) إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون (201)

الأعراف 185 190 أم لهم أيد يبطشون بها يتناولون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها أى فلم تعبدون ماهو دونكم قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم فى عداوتى ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم بالياء يعقوب وافقه أبو عمرو فى الوصل فلا تنظرون فانى لا أبالى بكم وكانوا قد خوفوه بلهتم فأمر أن يخاطبهم بذلك والبياء يعقوب إن ولى ناصرى عليكم الله الذى نزل الكتاب أوحى إلى واعزتى برسلاته وهو يتولى الصالحين ومن سنته أن ينصر الصالحين من عباده ولا يخذلهم والذين تدعون من دونه من دون الله لا يستكطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون و إن تدعوهم إلى الهدى لا يسموعا وتراهم ييظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لأنهم صورا أصنامهم بصورة من قلب حدقيه إلى الشئ ينظر إليه وهم لا يبصرون المئى خذ العفو هو ضد الجهد أى ما عفا لكم من اخلاق الناس وأفعلاهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لاي ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا وامر بالعرف بالمعروف والجميل من الأفعال أو هو كل خصلة يرتضيها العقل ويقبلها الشرع وأعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم وفسرها جبريل عليه السلام بقوله صل من قطعك واعط ن حرمك واعف عمن ظلمك وعن الصاقد أمر الله نبيه عليه السلام بمكارم الأخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق

منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ و إما ينخسنك منه نخس أى بأن يحملك بوسوسته فلى خلافما أمرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ النخس كأنه ينخس حين يغريهم على المعاصى وجعل النزغ نازغا كما قيل جدجده أو أريد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقوله أبى بكر رضى الله عنه أن لى شيطانا يعترينى أنه سميع لنزعه عليم بدفعه أن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان طيف مكى وبصرى

وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون (202) وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (203) وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون (204) واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين (205) إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون (206)

الأعراف 190 195 وعلى أى لمة مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا وعن أبى عمرو هما واحد وهى الوسوسة وهذا تأكيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان و إن عادة المتقين إذا أصابهم ادنى نزغ من الشيطان وإلمام بوسوسته تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه فإذا هم مبصرون فابصورا السدسد ودفعوا وسوسته وحقيقته أن يفروا منه إلى الله فيزدادوا بصيرة من الله بالله وغخواتهم وأما إخوان الشياطين الإنس فإن الشياطين يمدونهم فى الغبى أى يكونون مددا لهم فهي ويعضدونهم يمدونهم من الامداد مدنى ثم لا يقصرون ثم لا يسمكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وجازان يراد الغخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به إلى الجاهلين والاول أوجه لأن غخوانهم فى مقابلة الذين اتقوا و إنما جمع الضمير فى إخوانهم والشيطان مفرد لأن المراد به الجنس و إذا لم تأتهم بآية مقتحرة قالوا لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها أى اختلقتها ما قبلها قل إنما اتبع ما يوحى إلى من ربى ولست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق وهدى ورحمة لقوم يؤمنون به و إذا قرئ القارن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ظاهره ووبجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن فى الصلاة

وغيرها وقيل معناه إذا تلاعليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضى الله عنهم على أنه فى استماع المؤتم وقيل فى استماع الخطبة وقيل فيهما وهو الاصح واذكر ربك فى نفسك رر هو عام فى الاذكر من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول متكلما كلاما دون الجهر لأن الاخافء ادخل فى الاخلاص واقرب إلى حسن التفكير بالغدوا والآصال لفضل هذين الوقتين وقيل المراد دامة الذكر باستقامة الفكر ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهى الغدوات والآصال جمع أصل والأصل جمع أصيل وهو العشى ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه أن الذين عند ربك مكانة ومنزلة لا مكانا ونزلا يعنى الملائكة لا يستكبرون عن عبادته

يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين (1) إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون (2)

الأعراف 195 تعظمون عنها ويسبحونه وينزهونه عما لا يليق به وله يسجدون ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره والله أعلم
سورة الأنفال مدنية وهى خمس أو ست أو سبع وسبعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
الأنفال 1 2
يسئلونك عن الأفال هل الأنفال لله والرسول النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه والانفاق الغنائم ولقد وقع اختلاف بين المسلين فى غنائم بدر وفى قسمتها فسالوا رسول الله كيف تقسم ولمن الحم فى قسمتها للمهاجرين أم للانصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم هى لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ماشياء ليس لأحد غيره فيها حكم ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول أن حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ومتثل الرسول أمر الله فيها وليس الامر فى قسمتها مفوضا إلى راى أحد فاتقوا الله فى الاختلاف والتخاصم وكونوا متنخين فى الله وأصلحوا

ذات بينكم أحوال بينكم يعنى ما بينكم من الأحوال حتى تكون احوا
لألفة ومحبة واتفاق وقال الزجاج معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم
والبين الوصل أى فتقوا الله وكونوا مجتمعين على ما أمر الله
ورسوله به قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه نزلت فينا يا معشر
أصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من
أيدينا فحلعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين
المسلمين على غلسواء وأطيعوا الله ورسوله فيما أمرتم به فى
الغنلائم وغيرها إن كنتم مؤمنين كاملى الإيمان إنما المؤمنون إنما
الكاملون الإيمان الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره
استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزه وسلطانه و إذا تليت عليهم آياته
أى القرآن رزادتهم إيمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة لأن تظاهر الأدلة
أقوى المدلول عليه وأثبت لقدمه أو زادتهم غيمانا بتلك الآيات لأنهم
لم يؤمنوا بأحكامها قبل وعلى ربهم يتوكلون يعتمدون ولا يفوضون
أمورهم إلى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون

الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (3) أولئك هم
المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم (4) كما
أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون (5)

الأنفال 3 5 إلا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون جمع
بين اعمال القلوب من الوجل والاخلاص والتوكل وبين أعمال
الجوارح من الصلاة والصدقة أولئك هم المؤمنون حقا هو صفة
لمصدر محذوف أى أولئك هم المؤمنون إيمانا حقا أو مصدر مؤكد
للجلة التى هى أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أى حق
ذلك حقا وعن الحسن رحمه الله أن رجلا سأله أمؤمن أنت قال إن
كنت تسالنى عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن و إن كانت تسألنى عن
قوله إنما المؤمنون الآية فلا أدرى انا منها أم لاوعن الثورى من زعم
أنه مؤمن باله حقا ثم لم يشهد أنه أهل الجنة فقد امن بنصف ا لاية
أى كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن
حقا وبهذا يتشبث من يقول انا مؤمن إن شاء الله وكان أبو حنيفة
رحمه الله لا يقول ذلك وقال لقتادة لم تستثنى فى إيمانك قال

اتباعها لابراهيم فى قوله والذى أطمع أن ييغفر لى خطيئتى يوم الدين فقال له هلا اقتديت به فى قوله أو لم تؤمن قال بتى وعن إبراهيم التيمى قل انا مؤمن حقا فإن صدقت أثبت عليه و إن كذبت فكفرك اشد من كذبك وعن ابن عباس رضى الله عنهما من لم يكن منافقا فهو مؤمن حقا وقد احتج عبد الله فقال أنا أحمد حقا فقال حيث سماك والداك لا تستثنى وقد سماك الله فى القرآن مؤمنا تستثنى لهم درجات مراتب بعضها فوق بعض على قدر الاعمال عند ربهم ومغفرة وتجاوز لسيآتهم ورزق كريم صاف عن كد الاكتساب وخوف الحساب الكاف فى كما اخرجك ربك فى محل النصب على أنه صفة لمصدر الفعل المقدر والتقدير قل الأنفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتم ثبات مثل ثبات اخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون من بيتك يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهى فى اختصاصها به كاختصاص البيت لساكنه بالحق اخرادها ملتبسا بالحكمة والصواب و إن فريقا من المؤمنين لكارهون فى موضع الحال أى أخرجك فى حال كراهتك وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان فأخبر جبريل النبى عليه السلام فأخبر أصحباه فأعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا علمت قريش بذلك فخرج أبو جهل بجميع أهل مكةوهو النفير فى المثل السائر لا فى العير ولا فى النفي فقيل له إن

يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون (6) وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين (7)

الأنفال 6 7 العير أخذت طريق الساحل ونجت فأبى وسار بمن معه إلى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله وعدكم احدى الظائفيتن غما العير و إما قريشا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحباه وقال العير أحب غليكم أم النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم

ردد عليهم فقا لأن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد ابن عمرو وامض لما أمرك الله فإنا ههنا قاعدون ولكن اذهب ولكن اذهب أنت وربكم فقاتلا إنا معكما مقاتلون مادامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته فخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله ابشروا فإن الله وعدنى غحدى الطائفتبين والله لكأنى الآن انظر إلى مصارع القوم وكانت الكراهة من بعضهم لقوله و إن فريقا من المؤمنين لكارهون قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يحتمل أنهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادا ويحتمل أن يكونوا مخلصين و أن يكون ذلك كراه طبع لأنهم غير متأهبين له يجادلونك فى الحق الحق الذى جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى النفير لإيثارهم عليه تلقى العير بعد ما بين بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ماكان خروجناا إلا للعيبر وهلا قلتلنا لنستعد وذلك لكراهتهم القتالر كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون شبه حالهم فى فرط فزعهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال من يعتل إلى القتل ويساق على الصفار إلى الموت وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد و أنهم كانوا رجالة وما كان فيهم إلا فارسان و إذ يعدكم الله ظغحدى الطائفيتن إذ منصوب باذكر وغحدى مفعول ثان أنها لكم بدل من إحدى الظائفتين وهما العير والنفير والتقدير و إذ يعدكم الله أن إحدة الطائفتين لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم أى العير وذات الشوكة ذات السلاح كانت فى النفير لعددهم وعدتهم أى تتمنون أن تكون لكم العير لانها الطائفة التى لا سلاح لها ولا تريدون الطائةف الأخرى ويريد الله أن

ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون (8) إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين (9) وما

جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم (10) إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام (11)

الأنفال 7 10 يحق الحق أى يثبته ويعليه بكماته بآياته المنزلة فى محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من قتلهم وطرحهم فى قليب بدر ويقطع دابر الكافرين آخرهم والدابر الآخر فاعل من دابر إذا أدبر وقطع الدابر عبارة عن الاتسئصال ينعى أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور والله تعالى يريد معالى الامور ونصرة الحق وعلوا الكلو وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وأعزكم وأذلهم ليحق الحق متعلق بيقطع أو بحذوف بقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك والمقدر متأخر ليفغيد الاختصاص أى ما فعله إلا لهما هوه إثبات الاصلام وإظهراه وإبطال الكفر ومحقه وليس هذا بتكرارا لأن الأول تمييز بين الإرتديتن وهذا بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم علهيا ولو كره المجرمون المشركون ذلك إذ تستغيثون ربم بدل من إذا يعدكم أو متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أغثنا وهى طلب الغوث وهو التخلص من المكروه فاستجاب لكم فأجاب وأصله إنى ممدكم بانى ممدكم فحذف الجار وسط عليه استجاب فنصب محله بألف من الملاكئة مردفين مدنى غيره بكسر الدال وفتحها فكسر على أنهم أردفوا غيرهم والفتح على أنه أردف كل ملك ملكا آخر يقال ردفه إذا تبعه واردفته إياه إذا اتبعته وما جعله الله أى الامداد الذى دل عليه ممدكم إلا بشرى إلا بشارة لم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم يعنى انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر إلا ن عند الله أى ولا تحسبوا النصر من الملائكة وغيرهم من الأساب إلى من عند الله والمصور من نصره الله واختلف فى قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبريل عليه السلام فى خسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر رضى الله عنه وميكائيل فى خسمائة على الميسرة وفيها على ضلى الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت

حتى قال أبو جهل لا بن سمعود من اين كان ياتينا الضرب ولا ترى الشخص قال من قال فهم غلبونا لا أنتم وقيل لم يقاتلوا و إنما كانوا يكثرون السواد ويثتبون المؤمنين و إلا فملك واحد كاف فى إهلاك أهل الدنيا إن الله غزيز بنصر اوليائه حيكم

إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان (12) ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب (13) ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار (14)

الأنفال 11 13 بقهر أعدائه إذ يغشيكم بدل ثان من إذ يعدكم أو مصوب بالنص راو باضمار اذكر بغشيكم مدنى النعاس النوم والفاعل هو الله على القاءتين يغشاكم النعاس مكى و أبو عمرو أمنة مفعول له أى إذ تنعسون امنة بمعنى أمنا أى لأمنكم أو مصدر أى فأمنتم أمنة فالنوم يزيح الرعب ويريح النفس منه صفة لها أى امته حاصلة لكم من الله وينزل بالتخفيف مكى وبصرى وبالتشديد غيرهم عليكم من السماء ماء مطار ليطهركم به بالماء من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان وسوسته الهم وتخويفه إياهم من العطش أو الجنمابة من الاحتلام لأنه من الشيطان وقد وسوس اليهم أن لا نصرة مع الجنابة وليربط على قلوبكم بالصب رويثبت به الأفقدام أى بالماء إذ الأقدام كانت تسوح فى الرمل أو بالربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر يثبت القدم فى مواطن القتال إذ يوح بدل ثالث من إذ يعدكم أو منصوب بيثبت ربكم إلى الملائكة إنى معكم بالنصر فثبتوا الذين امنواا بالبشرى كان الملك يسير امام الصف فى صورة رجل فيقول أبشروا فإن الله ناصرم سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب هو امتلاء القلب من الخوف والرعب شامى وعلى فاضربوا أمر للمؤمنين أو للملائكة وفيه دليل على أنهم قاتلوا فوق الأعناق أى أعالى الاعناق التى هى المذابح تطييرر للرءوس أو أراد الرءوس لانها فوق الأعناق حتى ضرب الهام واضبوا منهم كل بنان هى الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لأن الضرب إما أن يقع على معقل اوغير مقتل فامرهم اغن يجمعوا عليهم النوعين ذلك

إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره بأنهم شاقوا الله ورسوله أى ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم أى مخالفتهم وهى مشتقة من الشق لأن كلا المتاديين فى شق خلاف شق صاحبه وكذا المعاداة والمخاصمة لأن هذا فى عدوة وخصم أى جانب وذا فى عدوة وخصم ومن يشاقق الله روسلوه فإن الله شديد العقاب والكاف فى ذلك لخطاب الرسول أو لكم أحد وفى ذلم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب ذلكم فذوقوه والواو و أن للكافرين

يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار (15) ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير (16) فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم (17) ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين (18)

الأنفال 13 17 عذاب النار بمعنى مع أى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذى لكم فى الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا حال من الذين كفورا والزحف الجيش الذى يرى لكثرته كأنه يزحف أى يدب دبيبا من الزحف الصبى إذا دب على أسته قليلا قليلا سمى بالمصدر فلا تولهم بالادبار فلا تنصرفوا عنهم منهزمين أى إذا لقيتموهم للتقال وهم كثير ووأنتم قليل فلا تفرواا فضلا أن تدانوهم فى الهدد أو تساووهم أو حال من المؤمنين أو من الفريقين أى إذا لقيتموهم متزاحفين هم و انتم ومن يولهم يؤمئذ دبره إلا متحرفا مائلا لقتال وهو الكسر بعد الفريخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الرحب أو متحيزا منظما إلى فئة إلى جماع اخرى من المسليمن سوى الفئة التى هو تفيها وهما حالان من ضمير الفاعل فى يولهم فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لأنه من حاز يجوز فبناء متفعل منه متحوزا ولما كسروا أهل مكة وقتلوا و أسروا وكان القاتل منهم يقول تاخفار قتلت وأسرت قيل لهم فلم تقتلوهم ولن الله قتلهم والفاء جواب لشرط محذوف تقديره أن

افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكم الله قتلهم ولما قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرماى بها فى وجوهم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا قيل وما رميت يا محمد إذ رميت ولكن الله رمى يعنى أن الرمية التى رميتها أنت لم ترمها أنت على الحقيقة لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه اثر رمى البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثصر العظيم وفى الآية بيان أن فعل العبد مضاف إليه كسبا و إلى الله تعالى خلقا لا كما تقول الجبرية والمعتزلة لأنه أثبت الفعل من العبد بقوله إذ رميت ثم نفاه عنه وأثبته لله تعالى بقوله ولكن الله رمى ولكنم الله قتلهم ولكمن الله رمى بتخفيف لكن شامى وحمزة وعلى وليبلى المؤمنين ولعيطيهم منه بلاء حسنا عطاء تجميلا والمعنى وللاحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعل إلا لذلك إن الله سميع لدعائهم عليم بأحوالهم ذلكم إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أى المراد ذلكم و أن الله موهن كيد الكافرين معطوف على ذلكم أى المراد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين

إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين (19) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون (20) ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون (21) إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون (22) ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (23)

الأنفال 18 22 موهن كيد شامى وكوفى غير حفص موهن كيد حفص موهم غيرهم إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أن تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم وهو خطاب لأهل مكة لأنهم أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم أن كان محمد على حق فانصره وان كنا على الحق فانصرنا وقيل أن تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا للكافرين أى وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أى الانتها خير لكم وأسلم وانت تعودوا لمحاربةه نعد لنصرته عليكم ولن تعنى عنكم فئتكم جمعكم شيئا ولو كثرت عدد

وان الله مع المؤمنين بالفتح مدنى وشامى وحفص أى و لأن الله مع المؤمنين بالنصر كان ذلك وبالسكر غيرهم ويؤيده قراءة عبد الله والله مع المؤمنين يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن المعنى وأطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق أن يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد أطاع الله فكان رجوزع الضمير إلى أحدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع فى فغلان أو يرجع الضمير إلى الامر بالطاعة أى ولا تولوا عن هذه الأمر وامتثاله والاجمال لا ينفع فى فلان أو يرجع الضمير إلى الامر بالطاعة أى ولا تولوا عن هذا الأمر وامتثاله وأصله ولا تتولوا فحذف احدى التاءين تخفيفا وأنتم تسمعون أى و انتم تسمونه أو ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالوفا وأنتم تسمعون أى تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا أى ادعوا السماع وهم المنافقونه و أهل الكتاب وهم لا يسمعون لأنهم ليسوا بمصقدين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تعصدقون بالقرآن والنبوة فإذا توليتم عن طاعة الرسول فى بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها أشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال أن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون أى أن شر من يدب على وجه اغلارض البهائم و إن شر البهائم الذين هم صم عن الحثق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لأنهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل ولو علم الله فيهم فى هؤلاء الصم البكم خيرا صدقا ورغبة لأسمعهم لجعلهم سامعيه تحتى يسمعوا سماع المصدقين ولو أسمعهم لتولوا عنه أى ولو أسمعهم وصدقوا لارتدوا

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون (24) واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب (25) واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون (26) يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون (27)

الأنفال 22 26 بعد ذلك ولم يستقيموا وهم معرضون عن الإيمان يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم وحد الضمير أيضا كما وحده فيما قبله لأن استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لأن العلم حياة كما أن الجهل موت كما قال الشاعر ... لا تعجبن الجهول حلته ... ... فذاك ميت وثوبه كفن
أو لمجاهدة الكافر لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم أو للشهادة لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه أى يميته فتفوته الفرصة التى هو واجدها وهى التمكن من اخلاص القلب فاغتموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله أو بينه وبين ما تمناه بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزائمه وانه إليه تحشرون واعلموا انكم إليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة واتقوا فتنة عذابا لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة هو جواب للامر أى أن اصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وجاز أن تدخل النون والمؤكدة فى جواب الامر لأن فيه معنى النهى كما إذا قلت أنزل عن الدابة لا تطرحك وجاز لا تطرحتك ون فى منك للتبعيض ور واعلموا أن الله شديد العقاب إذا عاقب واذكروا إذا أنتم قليل إذ مفعول به لا ظرف أى واذكروا وقت كونكم أقلة أذلة مستضعفون فى الأرض ارض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش بخافون أن يتخطفكم الناس لأن الناس كانوا لهم أعداء مضادين فىواكم إلى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الأنصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم ولم تحل لأحد قبلكم لعلكم تشكرون هذه النعم يا الها الذين آمنوا لا تخونوا الله بأن تعطولا فرائضه والرسول بأن لا تستنوا به ةتخونوا جزم عطف على ألا تخونوا إلى ولا تخونوا أماناتكم فيما بينكم بألا

واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم (28) يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم (29) وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (30)

الأنفال 23 29 تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله أو وانتم تعلمون انكم تخونون بعنى أن الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو أو وانتع علماء تعلمون حسن وقبح القبيح ومعنى الخون النقص كما أن معنى الايفاء التمام ومنه تخونه إذا انتقصه ثم استعمل فى ضد الأمانة والوافاء لانك إذا خنت الرحل فى شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه واعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنة أى سبب الوقوع فى الفتنة وهى الاثم والعاذب أو محنة من الله ليبولكم كيف تحافظون فيهم على حدوده لا و أن الله عند أجر عظيم فعليكم أن تحضروا على طلب ذلك وتزهدوا فى الدينا ولا تحرصوا على تجمع المال وحب الولد يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجحعل لكم فرقانا نصر الانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بلاذلال حزبه والاسلام بعزاز اهله واو بينانا وظهورا يشهر امركم ويثبت صيتكم وآثاركم فى اقطار الأرض من قولهم سطع الفرقان أى طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وشحار لصدور أو تفرقة بينكم بوين يغركم من أهل الأديان وفضلا ومزية فى الدينا و الآخرة ويكفر عنك سيئاتكم أى الصغائر ويغفر لكم ذنبكم أى الكبائر والله ذو الفضل العيظم على عباده واذ يمكر بك الذين كفروا لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشرك نعمة الله فى نجاته من مرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر إذ يمكرون بك وذلك أن قريشا لما أسلمت الأنصار فرقوا أن يتفاقم امره فاجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى أمره فدخل عليهم إبليس فى صورة شيخ وقال أنا شءخ من نجد دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا من رأيا ونصحا فقال أبو التخترى رأيى أن تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون إليه كعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال إبليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلم من قومه ويخ9لصه ن أيديكم فقال هشام بن عمرو رأى أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضرم ما صنع وسارحتم فقال البيس بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقالتكم بهم فقا ل أبو جهل لعنة اللله أنا أرى أن تاخذوامن كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقى بنوا هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه واستحرنا فقال اللعين صدق هذا الفتى هو 8أجودكم رأيا فتفرقوا

وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين (31) وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (32)

الأنفال 29 32 على رأى أبى تجهل مجتمعين على قتله فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت فى مضجعه واذن له الله فى الهجرة فأمر علينا فنام فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى فانه لن يخلص اليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا إلى مصجعه فابصروا علينا فبهتوا وخيب الله سعيهم وافتقوا أثره فأبطل الله مكرهم يليثبتوك ليجبسوك ويوثفوك أو يقتلوك بسيوفهم أو يخرجوك من كة ويمركون ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفى الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة والله خير الماكرين أى مركه انفذ مكر غيره وأبلغ تأثيرا كان عليه السلام يقرأ القرآن ويذكر أخبار القرون الماضية فى قرءاته فقال النضر بن الحرث لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذى جاء بمن بلاد فارس بنسخة حديث رستم وأحاديث العجم فنزل و إذا تتلى عليهم آياتنا أى القرآن قالوا قد سمعنا لو نشاء قلبنا مثل هذا أن هذا إلا أساطير الأولين وهذا صلف منه مووقاحة لأنهم دعوا إلى أن ياتوا بسورة واحدة من مثل هذا القثران فلم ياتوا به و إذ قالوا اللهم أن كان هذا أى القرآن هو احلق من عندك هذا اسم كان هو فصل والحق خي كلان روى أن النضر لما قال إن هذا إلا أساطير الاولين قال له النبى عليه السلام ويلك هذا كلام الله فرفع النضر رأسه إلى السماء وقال إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أى أن كان القرانهو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو ائتنا بعذاب أليم بنوع آخر ن جنس العذاب الأليم فقتل يوم بدر صبرا وعن معاية أنه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومى قومك قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم إلى الحق إن كان هذه هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا له وما كسان ليعذبهم و أنت فهيم اللام لتأكيد النفى والدلالة على أن تعذيبهم و أنت بين اظهرهم غير مستقيم لانك بعثت رحمة للعالمين

وسنته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين أظهرهم وفيه اشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون هو فى موضع الحال

وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (33) وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون (34) وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (35) إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون (36) ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون (37)

الأنفال 32 35 ومعناه نفى الاستغفار عنهم أى ولو كانوا ممت يؤمن ويستغعفر من الكفر لما عذبهم أو معناه وماكان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ن المستضعفين رر وما لهم ألا يعذبهم الله أى وما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن السمجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبة واخراجهم رسول الله والمؤنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فقيل وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشركاهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمر الحرم أن أولياؤه إلا المتقون من المسلمين وقيل الضميران راجعان إلى الله ولكن أكرثهم لا يعلمون ذلك كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند اغو أراد بالأكثر الجيمع كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء صفيرا كصوت المكاء وهو طائر مليح الصوت وهو فعال من مكا يمكوا إذا صفر ةنتصدية وتصفيقا تفعله من الصدى وذلك أنهم كانوا يطوفن بالبيت عراة وهم كشبكون بين أصباعهم يصفرون فيها ويفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلابته يخطلون عليه

فذوقوا العذاب عذاب القعل والأسر يوم بدربما كنتم تكفرون بسبب كفركم ونزل فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يومم عشر جزر أن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله أى كاك غغرضهم فى الانفاق الصد عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عيهم حسرة ثم تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون ارخ الأمر وهو من دلائل النبوة لأنه اخبر عنه قبل وقوعه فكان كما أخبر والذين كفروا والكافرون منهم إلى جهنم يحشرون لأن منهم من أسلم وحسن اسلامه ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث من الكافر من الطيب أى من الفريق الطيب من المؤمنين متعلقة بيحشرون ليمييز حمزة وعلى ويجعل الخبيث الفريق الخبيث

قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين (38) وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير (39) وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير (40) واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير (41)

الأنفال 35 39 بعضه علي بعض فيركمه جيمعا فيحمعه فيجعله فى جهنم أى الفريق الخبيث أولئك إشارة إلى الفريق الخبيث هم الخسارون أنفسعهم واموالهم قل للذين كفروا أى أبى سفيان وأصحباه إن ينتهوا عماهم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلاه بالدخول فى الإسلام يفغر لهم ماقدسلف لهم من الاعداوة و إن يعودوا قلتاله فقد مضت سنت الأولين بالإهلاك فى الدنيا والعذاب ققى العقبب أو معناه أن الكفار إذا انتهوع عن الكفر وأسلموا غفرلهم ماقد سلف من الكفر والمعاصى وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله فى أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة إلى أن لا يوجد فيهم شرط قط ويكون الدين كله لله وضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الإسلام

فإن انتهوا عن الكفر وأسلموا فإن الله بما يعلمون بصير يثيبهم على اسلامهم و إن تولوا أرعضوا عن الإيمان ولم ينتهوا فاعلموا أن الله مولاكم ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصي لا يغلب من نصره والمخصوص بالمحد محذوف واعلموا أنما غنمتم ما بمعنى الذى ولا يجوز أن يكتب إلا مفصولا إذ لو كتب موصولا لوجب أن تكون ما كافة وغنمتم صلته والعائد محذوف والتقدير الذى غنمتموه من شيء بيانه قيل حتى الخيط والمخيط فإن لله خمسه والفاء إنما دخلت لما في الذى من معنى المجازاة وان وما عملت فيه فى موضع رفع على أنه خبر مبتدأ تقديره فالحكم أن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فالخمس كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم على خسمة أسهم سهم لرسول الله وسهم لذوى قرابته من بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل استخقوه حينئذ بالنصرة لقصة عثمان وجبير بن مكعم وثلاثة أسهم لليتمامى والمساكين وابن السبيل و اما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى و إنما يعطون لفقراءهم ولا يعطى أغناؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وبان السبيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان على ستة لله والرسول سهمان وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر رضى الله عنه الخمس على

إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم (42)

الأنفال 39 40 ثلاثة وكذا عمر ومن بعده من الخلفىء رضى اللهعنهم ومعنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه أن كنتم آمنتم بالله فاعملوا به وارضوا بهذه القسمة فالإيمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعلم وما انزلنا معطوف على بالله أى أن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا يوم الفرقان يوم بدر يوم التقى الجمعان الفيقيقان من السملين والكافرين والمراد ما أنزل

عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ وهو بدل من يوم الفرقان والله على كل شيء قدير يقدر على أن ينصر القليل على الكثيرة كما فعل بكم يوم بدر إذا أنتم إذ أنتم بدل من يوم افرقان أو التقدير اذكروا إذ انتم بالعدوة شط الوادى وبالكسر فيهما مكى وبو عرمو الدنيا القربى إلى جهة الميدنة تأنيث الأذنى وهم بالعدوزة القصوة البعد عن المدينة تأنيث الأقصى وكلتاهما فعلى من بنات الواو والقياس قلب الواو ياء كالعليا تأنيث الأعلى واما القصوى فكالقود فى مجيئه على الأصل والركب أي العير وهو جمع راكب فى المعنى أسلف منكم نصب على الظرف أى مكانا اسفل من مكانكم يعنى فى اسفل الوادى بثلاثة اميال وهو مرفوع المحل لأنه خبر المبتدا ولو تواعدتم انتم و أهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلقتون فيه لبقتال لاختلفتم فى الميعاد لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبتطهم ما فى قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم ينفق لكم من التلاقى ماوفقه الله وسبب له ولكمن جمع بينكم بلا يمعاد ليقضى الله امرا كاان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته واللام تتعلق بمحذوف أى ليقضى الله امرا كان ينبغى أن يفعل وهو نصر تاوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك قال الشيخ أبو منصور رحمه الله القضاء يحتمل الحكم أى ليحكم ما قد علم أنه يكون كائنا أو ليتم امرا كان قد أراده وما أراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الإسلام وأهله وذل الكفر وحزبه ويتعلق بيقضى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة حيى نافع و أبو عمرو فالادغام لالتقاء المثلين والاظهار لأن حركة الثانى غير لازمة لانك تقول فى الستقبل يحيا والادغام اكثير استيعر الهلاك والحياة للكفر و الإسلام أى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم أيضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذى يجب الدخول فيه والتسمك به وذلك أن وقعة بدر من الآيات الواضحة التى من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها ولهذا ذكر فيها

إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور (43) وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور (44) يا أيها الذين آمنوا إذا

لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (45)

الأنفال 40 43 مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم مع أنهم قد علموا ذلك كله مشاهدة ليعلم الخلق أن النصر والغلبة لا تكون بالكثرة والأسباب بل بالله تعالى وذلك أن العدوة القصوة التى اناخ بها المشركون كان فيا المساء وكانت أرضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهى خيار تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فهيا إلا بتعب وشمقة وكان العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وعدتعهم وقلة المسليمن وضعفهم ثم كان ما كان وان الله لسميع لأقيواهم عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوباه إذ يريكهم الله نصب باظمار اذكر ا هو متعلق بقوله لسميع عليم اغى يعلم المصالح إذ يقللهم فى عينك فى منامك قليلا أى فى رؤياك وذلك أن الله تعالى اراه اياهم فى رؤياه قليلا فاخبر بذلك أصحباه فكان ذلك تشجيعا لهم على عدوهم ولو أراكهم كثيرا لتسلتم لجبتنتم وهبتم الإقدام ولتنازعتم فى الأمر أمر القتال وترددتم بين الثبات والفغاررا ولكن الله سلم عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف إنه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والزع واذ يريكموهم الضميران مفعولان أى و إذ يبصركم إياهم إذ التقيتم وقت اللقاء فى أعينكم قليلا هو نصب على الحال و إنما قللهم فى أعيهم تصديقا لرؤسا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ينجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبى أتراهم سبعين قال أراهم مائة وكاوا ألفا ويقللكم فى أعينهم حتى قا لقائل منه إنما تهم أكلة جزور قيل قد قللهم فى أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا وبها بواو يجوز أن يبصروا الكثير قليلا بان يستر الله بعضهم بساتر أو يحدث فى عيونهم ما يستقولن به الكثير كما احدث فى أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قبل لبعضهم أن الاحل يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال مالى لا أرى هذهين الديكين أربعة ليقضى الله أمرا كان مفعولا و إلى الله ترجع الأمور فيحكم فيها بما يريد ترجع شامى وحمزة وعلى يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة إذا

وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين (46) ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط (47) وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب (48)

الأنفال 43 46 حاربتم جماعة من الكفار وترك وصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء اسم غالب للقتال فائبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا فى مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهمم لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ألا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما و أن تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيهر وأطيعوا الله ورسوله فى الأمر بالجهاد والثبات مع العدو وغيرهما ولا تنازعوا فتفشلوا فنجبنوا وهو منصوب باضمار أن ويدل عليه وتذهب ريحكم أى دولتكم يقال هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ امره شبهت فى نفوذ أمرها وتمشيته بالربح وهبوبها وقيل لم يكن نصر قط إلا بربح يبعثها الله مع الصابرين أى معينهمو حافظهم ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس هم أهل مكة حين نفروا لحمية العير فأتاهم رسول أبى سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركمم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا وشنرب بها لاخمور وننحر الجزور ونعزف علنا القيان ونكطعم بها العرب فذلك بطرهم ورياؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كئوس المنايا مكان الخمر وناحت علهيم النوائح مكان القيان فناهم أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم و أن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله والبطر أن تشغله كثرة النعمة عن شكرها ويصدون عن سبيل الله دين الله والله بملاا يعملون محيط تعالم وهو وعيد واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واذكر إذ زين لهم الشياطن اعمالهم التى عمللوها فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم أنهم تلا يغلبون وغالب مبنى نحو لا رجل روكم فى موشع رفع خبر لا تقديره لا غالب كائن لكم وانى جحار لكم أى مجير

لكم أوهمهم أن الشيطان مما يجيرهم فلما تراءت الفئتان فلما تلاقى الفريقان نكص الشياطان هاربا على عقبيه أى رجع القهقرى وقال إنى برئ منكم أى رجعت عما ضمنت لكم من الامان روى أن ابليس تمثل لهم

إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم (49) ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق (50) ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد (51)

الأنفال 46 50 فى صورة سراقة بن مالكم بن جعشم فى جند من الشياكني معه راية فلما رأى الملائكة تنزل نكص فقا لله الحرث بن هشام اتخذ لنا فى هذه الحالة فقال إنى أرى مالا ترون أى الملائكة وانهمزا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيممتكم فلما اسلموا علموا أنه الشيطان إنى أخاف الله أى عقوبته والله شديد العقاب اذكروا إذ يقول المنافقون بالمدينة والذين فى قلوبهم مرض هو من صفة المنافقين اريد والذين هم على حرف ليسوا بثابتى الاقدام فى الإسلام غر هؤلاء دينهم يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر إلى زهار ألف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله بكب إليه أمره فإن الله عزيز غالب يسلط القيل الضعيف على الكثير القوى حكيم لا يسوى بين وليه وعدوه ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لأن لو ترد المضارع إلى معنى الماضى كما ترد الماضى إلى معنى الاستقبال إذ نصب على الظرف يتوفى الذين كفروا بقبض أرواحهم الملائكة فاعل يضربون حال منهم وجوههم إذا أقبلوا وأدبارهم ظهورهم وأستاههم إذا أدبروا أو وجوههم عندالاقدام وأدبارهم عند النهزام وقيل فى يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر و الأول الوجه لأن الكفار لا يستحقون أن يكون الله متوفيهم بلا واسطة دليلة قرءاة ابن عامر تتوفى بالتاء وذوثوا ويقولن لهم ذوقوا معطوف على يضربون عذاب الحريق أى مقدمة عذاب النارأو ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به أو يقال لهم يوم القيامة ذوثواوجواب لو محذوف أى لرأيت امرا فظيعا ذلك بما

قدمت أيديكم أى كسبت وهو رد على الجبرية وهو من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره و أن الله عطف عليه أى ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن الله ليس بظلام للعبيد لأن تعذيب الكفار من العدل وقيل ظلام للتكثير لجل العبيد أو لفى انواع الظلم الكاف فى كدأب آل فرعون فى محل الرفع أى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذى دأبوا فيه أى داوموا عليه والذين من قبلهم انتهى التكرار

كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب (52) ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم (53) كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين (54) إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون (55) الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون (56) فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون (57)

الأنفال 52 - 57
من قبل قريش أو قبل آل فرعون كفروا تفسير لدأب آل فرعون بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم أن الله قوى شديد العقاب ذلك العذاب أو الانتقام بأن الله لم يك مغيرا نعمة نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم بسبب أن الله لم يصح فى حكمته أن يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال نعم لم يكن لآل فرعون ومشركى مكة حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة لكن لما تغيرت الحال المرضية إلى المسحوطة تغيرت الحال المسحوطة إلى أسخط منها و أولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث اليهم بالآيات فكذبوه وسعوا فى إراقة دمه غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب و أن الله سميع لما يقول مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون تكرير للتأكيد أو لأن فى الاولى الأخذ بالذنوب بلا بيان ذلك وهنا بين أن ذلك هو الاهلاك والاسئصال والذين من قبلهم

كذبوا بآيات ربهم وفى قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون بماء البحر وكل وكلهم من غرق القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصى إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون أى أصروا على الكفر فلا يتوقع منهم الإيمان الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا أى الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لأن شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون وشر المصرين الناكثون للعهود ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة فى كل معاهدة وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار فإما تثقفنهم فى الحرب فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحدا اعتبارا بهم واتعاظا

وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين (58) ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون (59) وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون (60)

الأنفال 57 - 61

بحالهم وقال الزجاج افعل بهم ما تفرق به جمعهم وتطرد به من عداهم لعلهم يذكرون لعل المشردين من ورائهم يتعظون و إما تخافن من قوم معاهدين خيانة نكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على استواء منك ومنهم في العلم ينقض العهد وهو حال من النابذ والمنبوذ اليهم أى حاصلين على استواء فى العلم إن الله لا يحب الخائنين الناقضين للعهود ولا يحسبن بالياء وفتح السين شامى وحمزة ويزيد وحفص وبالتاء وفتح السين أبو بكر وبالتاء وكسر السين غيرهم الذين كفروا سبقوا فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم إنهم لا يعجزون أنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم أنهم شامى أى لأنهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل غير أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح فمن قرأ بالتاء فالذين كفروا مفعول أول

والثانى سبقوا ومن قرأ بالياء الذين كفروا فاعل وسبقوا مفعول تقديره أن سبقوا فحذف أن و أن مخففة من الثقيلة أى أنهم سبقوا فسد مسد المفعولين أو يكون الفاعل مضمرا أى ولا يحسبن محمد الكافرين سابقين ومن ادعى تفرد حمزة بالقراءة ففيه نظر لما بيننا من عدم تفرده بها وعن الزهرى أنها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين واعدوا أيها المؤمنون لهم لنا قضى العهد أو لجميع الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به فى الحرب من عددها وفى الحديث إلا إن القوة الرمى قالها ثلاثا على المنبر وقيل هى الحصون ومن رباط الخيل هو اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله أو هو جمع ربيط كفصيل وفصال وخص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال ترهبون به بما استطعتم عدوا الله وعدوكم أى أهل مكة وآخرين من دونهم غيرهم وهم اليهود أو المنافقون أو أهل فارس أو كفرة الجن وفى الحديث إن الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى أن صهيل الخيل يرهب الجن لا تعلمونهم لا تعرفونهم بأعيانهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف اليكم يؤفي إليكم جزاؤه وأنتم لا تظلمون فى الجزاء بل تعطون على التمام و إن جنحوا مالوا جنح له واليه مال للسلم للصلح وبكسر السين أبو بكر وهو مؤنث تأنيث

وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم (61) وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين (62) وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم (63) يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين (64) يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون (65) الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين (66) ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم (67)

الأنفال 61 - 66
ضدها وهو الحرب فاجنح لها فمل اليها وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم إلى السلم فإن الله كافيك وعاصمك من مكرهم إنه هو السميع العليم لأقوالك العليم بأحوالك و إن يريدوا أن يخدعوك يمكروا ويغدروا فإن حسبك الله كافيك الله هو الذى أيدك قواك بنصره وبالمؤمنين جميعا أو بالأنصار وألف بين قلوبهم قلوب الاوس والخزرج بعد تعايدهم مائة وعشرين سنة لو انفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم أى بلغت عداوتهم مبلغا لو أنفق منفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى الأرض من الأموال لم يقدر عليه ولكن الله ألف بينهم بفضله ورحمته وجمع بين كلمتهم بقدرته فاحدث بينهم التوادد والتحابب واماط عنهم التباعض والتماقت إنه عزيز يقهر من يخدعونك حكيم ينصر من يتبعونك يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين الواو بمعنى مع وما بعده منصوب والمعنى كفاك وكفى اتبعاك من المؤمنين الله ناصرا ويجوز أن يكون فى محل الرفع أى كفاك الله وكافك أتباعك من المؤمنين قيل أسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال التحريض المبالغة فى الحث على الأمر من الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفى على الموت إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين و إن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا هذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين أن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله وتأييده بأنهم قوم لا يفقهون بسبب أن الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته بخلاف من يقاتل على بصيرة وهو يرجو النصر من الله قيل كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة ثم ثقل عليهم ذلك فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ضعفا عاصم وحمزة والمراد الضعف فى البدن فإن يكن منكم مائة صابرة بالياء فيهما

لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم (68)

الأنفال 66 - 68

كوفى وافقه البصرى فى الاولى والمراد الضعف فى البدن يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين وتكرير مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة لا تتفاوت إذ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين ما كان لنبى ما صح له ولا استقام أن يكون له أسرى أن تكون بصرى حتى يثخن فى الأرض الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهى الغلظ والكثافة يعنى حتى يذل الكفر باشاعة القتل فى اهله ويعز الإسلام بالاستيلاء والقهر ثم الأسر بعد ذلك روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل فاستشار النبى عليه السلام أبا بكر فيهم فقال قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمرو رضى الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال عليه السلام مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم حيث قال ومن عصانى فأنك غفور رحيم ومثلك يا عمر كمثل نوح حيث قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم أن شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد فلما أخذوا الفداء نزلت الآية تريدون عرض الدنيا متاعها يعنى الفداء سماه عرضا لقلة بقائه وسرعة فناءه والله يريد الآخرة أى ما هو سبب الجنة من اعزاز الإسلام بالاثخان فى القتل والله عزيز يقهر الاعداء حكيم فى عتاب الاولياء لولا كتاب من الله لو لا حكم من الله سبق أن لا يعذب أحدا على العلم بالاجتهاد وكان هذا اجتهاد منهم لأنهم نظروا فى أن استبقاءهم ربما كان سببا فى اسلامهم و أن فداءهم يتقوى به على الجهاد وخفى عليهم أن قتلهم أعز للاسلام وأهيب لمن وراءهم أو ما كتب الله فى اللوح أن لا يعذب أهل بدر أو كان لا يؤاخذ قبل البيان والاعذار وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكرى القياس كتاب مبتدأ ومن الله صفته أى لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة أخرى له وخبر المبتدأ محذوف أى لولا كتاب بهذه الصفة فى الوجود وسبق لا يجوز أن يكون خبرا لأن لولا لا يظهر خبرها أبدا لمسكم لنالكم وأصابكم فيما أخذتم من فداء الاسرى عذاب عظيم روى أن عمر رضى الله عنه

دخل على رسول الله صلى الله عليه

فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم (69) يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم (70) وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم (71) إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير (72)

الأنفال 69 - 72

وسلم فإذا هو و أبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرنى فإن وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكى على أصحابك فى أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى أنه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الأثخان فى القتل أحب إلى فكلوا مما غنمتم روى أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم إليها فنزلت وقيل هو إباحة للفداء لأنه من جملة الغنائم والفاء للتسبيب والسبب محذوف ومعناه قد أحللت لكم الغنائم فكلوا حلالا مطلقا عن العتاب والعقاب من حل العقال وهو نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أى اكلا حلالا طيبا لذيذا هنيئا أو حلالا بالشرع طيبا بالطبع واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه إن الله غفور لما فعلتم من قبل رحيم بإحلال ما غنتم يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم فى ملكتكم كأن أيديكم قابضة عليهم من الأسرى جمع أسير من الأسارى أبو عمرو جمع أسرى أن يعلم الله فى قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء إما أن يخلفكم فى الدنيا أضعفاه أو يثيبكم فى الآخرة ويغفر لكم والله غفور رحيم روى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ منه ما قدر على حمله

وكان يقول هذا خير مما أخذ منى وأرجوا المغفرة وكان له عشرون عبدا وان أدناهم ليتجر فى عشرين ألفا وكان يقول أنجز الله أحد الوعدين و أنا على ثقة من الآخر و أن يريدوا أى الأسرى خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الإسلام بالردة أو منع ما ضمنوه من الفداء فقد خانوا الله من قبل فى كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه فأمكن منهم فأمكنك منهم أى أظفرك بهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن عادوا إلى الله الخيانة والله عليم بالمآل حكيم فيما أمر فى الحال إن الذين آمنوا وهاجروا من مكة حبا لله ورسوله وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله هم المهاجرون والذين آووا ونصروا أى آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الانصار أولئك بعضهم أولياء بعض أى يتولى بعضهم بعضا

والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير (73) والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم (74) والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم (75)

الأنفال 72 - 74

فى الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة بالنصرة دون ذوى القرابات حتى نسخ ذلك بقوله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل أراد به النصرة والمعاونة والذين آمنوا ولم يهاجروا من مكة ما لكم من ولايتهم من توليهم فى الميراث ولا يتهم حمزة وقيل هما واحد من شيء حتى يهاجروا فكان لا يرث المؤمن الذى لم يهاجر ممن آمن وهاجر ولما أبقى للذين لم يهاجروا إسم الإيمان وكانت الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة دل أن صاحب الكبيرة لا يخرج من الإيمان وان استنصروكم أى من أسلم ولم يهاجر فى الدين فعليكم النصر أى إن وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم أن تنصروهم على الكافرين إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لأنهم لا يبتدئون بالقتال إذ الميثاق مانع من ذلك والله بما تعملون بصير تحذير عن تعدى حد

الشرع والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم ومعناه نهى المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم و أن كانوا أقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال إلا تفعلوه أى إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولى بعضهم بعضا حتى فى التوارث تفضيلا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تجعلوا قرابة الكفار كلا قرابة تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير تحصل فتنة فى الأرض ومفسدة عظيمة لأن المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لأجل الدين والعقبى لهم مغفرة ورزق كريم لامنة فيه ولا تنغيص ولا تكرار لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم مع الوعد الكريم والأولى للأمر بالتواصل والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة وهاجروا وجاهدوا

براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين (1)

الأنفال 74 - 75
معكم فأولئك منكم جعلهم منهم تفضيلا وترغيبا وأولو الأرحام بعضهم اولى ببعض وأولوا القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة فى كتاب الله فى حكمه وقسمته أو فى اللوح أو فى القرآن وهو آية المواريث وهو دليل لنا على توريث ذوى الأرحام أن الله بكل شيء عليم فيقضى بين عباده بما شاء من أحكامه قسم الناس أربعة أقسام قسم آمنوا وهاجروا وقسم آمنوا ونصروا وقسم آمنوا ولم يهارجروا وقسم كفروا ولم يؤمنوا
سورة التوبة مدنية وهى مائة وتسع وعشرون آية كوفى ومائة وثلاثون غيره
التوبة 1
لها أسماء التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة لأن فيها التوبة على المؤمنين وهى تقشقش من النفاق أى تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين

وتبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وفى ترك التسمية فى ابتدائها أقوال فعن على وابن عباس رضى الله عنهم أن بسم الله أمان وبراءة نزلت لرفع الامان وعن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزلت عليه سورة أو آية قال اجعلوها فى الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها تشبه قصة الانفال لأن فيها ذكر العهود وفى براءة نبذ العهود فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهى سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت فى القتال وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدأ محذوف أى هذه براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين من لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما فى قولك برئت من الدين أى هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان إلى فلان أو مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبرالى الذين عاهدتم كقولك رجل من بنى تميم فى الدار والمعنى أن الله ورسوله

فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين (2) وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم (3)

التوبة 2 - 3
قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين و أنه منبوذ اليهم فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر فسيروا فى الأرض كيف شئتم والسيح السير على مهل روى أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم فنكثوا إلا ناسا منهم وهم بنوا ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد إلى الناكثين وأمروا أن يسيحوا فى الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاءوا ولا يتعرض لهم وهى الأشهر الحرم فى قوله فإذا انسلخ

الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن أسيد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها إلى أبى بكر فقال لا يؤدى عنى إلا رجل منى فلما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مامور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحثهم على مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة و أن يتم إلى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على ابلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا و أنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن بالرماح وضرب بالسيوف والأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم أو عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لأنهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لأن ذا الحجة والمحرم منها والجمهور على إباحة القتال فى الاشهر الحرم و أن ذلك قد نسخ واعلموا انكم غير معجزى الله لا تفوتونه و أن أمهلكم و أن الله مخزى الكافرين مذلهم فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالعذاب وأذان من الله ورسوله إلى الناس ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها و الاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما أن الامان والعطاء بمعنى الإيمان والاعطاء والفرق بين الجملة الاولى والثانية أن الاولى إخبار بثبوت البرءاة والثانية إخبار بوجوب الاعلام بما ثبت و إنما علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الأذان بالناس لأن البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الأذان فعام لجميع الناس من عاهدو من لم يعاهدوا من نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الأكبر يوم عرفة لأن الوقوف بعرفة معظم افعال الحج أو يوم النحر لأن فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمى ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر أن الله برىء من المشركين أي

إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا
عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين (
4) فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم (5)

التوبة 3 - 5
بأن الله حذفت صلة الأذان تخفيفا ورسوله عطف على المنوى فى
برىء أو على الابتداء وحذف الخبر اى ورسوله برىء وقرىء بالنصب
عطفا على اسم إن والجر على الجوار أو على القسم كقولك لعمرك
وحكى أن اعاربيا سمع رجلا يقرؤها فقال إن كان الله بريئا من
رسوله فانا منه برىء فلببه الرجل إلى عمر فحكى الاعرابى قراءة
فعندها أمر عمر بتعلم العربية فإن تبتم من الكفر والغدر فهو أى
التوبة خير لكم من الاصرار على الكفر و إن توليتم عن التوبة أو تبتم
على التولى والاعراض عن الاسلام فاعلموا انكم غير معجزى الله
غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه وبشر الذين كفروا بعذاب
أليم مكان بشارة المؤمنين بنعيم مقيم إلا الذين عاهدتم من
المشركين استثناء من قوله فسيحوا فى الأرض والمعنى براءة من
الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا
الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد أى وفوا
بالعهد ولم ينقضوه وقرىء لم ينقضوكم أى عهدكم وهو اليق لكن
المشهورة أبلغ لأنه في مقابلة التمام ولم يظاهروا عليكم أحدا ولم
يعاونوا عليكم عدوا فأتموا اليهم عهدهم فأدوه اليهم تاما كاملا إلى
مدتهم إلى تمام مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل بعد أن
أمروا فى الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا
تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفى كالغادر إن الله يحب المتقين يعنى
أن قضية التقوى أن لا يسوى بين الفريقين فاتقوا الله فى ذلك فإذا
انسلخ مضى أو خرج الأشهر الحرم التى أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا
فاقتلوا المشركين الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم
من حل أو حرم وخذوهم وأسروهم والأخذ الأسر واحصروهم
وقيدوهم وامنعوهم من التصرف فى البلاد واقعدوا لهم كل مرصد كل
ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف فإن تابوا عن الكفر
وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر

والحصر أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم إن الله غفور بستر الكفر والغدر بالاسلام رحيم برفع القتل قبل الاداء

وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون (6) كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين (7) كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون (8) اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون (9)

التوبة 6 - 9
بالالتزام و إن أحد من المشركين استجارك فأجره أحد مرتفع بفعل شرط مضمر يفسره الظاهر أى وان استجارك أحد استجارك
والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه واستامنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد و القرآن فأمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم أبلغه بعد ذلك مأمنه داره التى يأمن فيها إن لم يسلم ثم قاتله إن شئت وفيه دليل على أن المستأمن لا يؤذى وليس له الاقامة فى دارنا ويمكن من العود ذلك أى الأمر بالاجارة فى قوله فأجره بأنهم قوم لا يعلمون بسبب أنهم قوم جهلة لا يعلمون ما الإسلام وما حقيقة ما تدعوا إليه فلا بد من اعطائهم الأمان حتى يسمعوا أو يفهموا الحق كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله كيف استفهام فى معنى الاستنكار أى مستنكر أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا فى ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا فى قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله إلا الذين عاهدتم أى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبنى ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم ولم يظهر منهم نكث أى فما أقاموا على وفاء العهد فاستقيموا لهم على الوفاء وما شرطية أى فإن استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين يعنى أن التربص بهم من أعمال المتقين كيف و إن تظهروا عليكم تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما أى كيف يكون لهم عهدو

حالهم أنهم أن يظهروا عليكم أى يظفروا بكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الإيمان والمواثيق لا يرقبوا فيكم إلا لا يراعوا حلفا ولا قرابة ولا ذمة عهدا يرضونكم بأفواههم بالوعد بالايمان والوفاء بالعهد وهو كلام مبتدأ فى وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وتأبى قلوبهم الإيمان والوفاء بالعهد واكثرهم فاسقون ناقضون العهد أو متمردون فى الكفر لامروءة تمنعهم عن الكذب ولا شمائل تردعهم عن النكث كما يوجد ذلك فى بعض الكفرة من التفادى عنها اشتروا استبدلوا بآيات الله بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا

لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون (10) فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون (11) وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون (12) ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين (13)

التوبة 9 - 13

وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم إنهم ساء ما كانوا يعملون أى بئس الصنيع صنيعهم لا يرقبون فى مؤمن إلا ولاذمة لا تكرار لأن الأول على الخصوص حيث قال فيكم والثانى على العموم لأنه قال فى مؤمن أولئك هم المعتدون المجاوزون الغاية فى الظلم والشرارة فإن تابوا عن الكفر وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدأ فى الدين لا فى النسب ونفصل الآيات ونبينها لقوم يعلمون يفهمون فيتفكرون فيها وهذا إعتراض كأنه قيل و إن من تأمل تفصيلها فهو العالم تحريضا على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها و إن نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم أي نقضوا العهود المؤكدة بالإيمان وطعنوا في دينكم وعابوه فقاتلوا أئمة الكفر فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤساء الشرك أو زعماء قريش الذين هموا بإخراج الرسول وقالوا إذا طعن الذمى فى دين الإسلام طعنا ظاهر اجاز قتله لأن العهد معقود معه علىألا يطعن

فإذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة أئمة بهمزتين كوفى
وشامى الباقون بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها ياء مكسورة أصلها
أأممة لانها جمع إمام كعماد وأعمدة فنقلت حركة الميم الاولى إلى
الهمزة الساكنة وادغمت فى الميم الأخرى فمن حقق الهمزتين
اخرجهما على الأصل ومن قلب الثانية ياء فلكسرتها إنهم لا أيمان
لهم و إنما أثبت لهم الأيمان فى قوله و إن نكثوا أيمانهم لأنه أراد
أيمانهم التى اظهروها ثم قال لا أيمان لهم على الحقيقة وهو دليل لنا
على أن يمين الكافر لا تكون يمينا ومعناه عند الشافعى رحمه الله
أنهم لا يوفون با لأن يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث لا إيمان
شامى اي لا إسلام لعلهم ينتهون متعلق بفقاتلوا أئمة الكفر وما بينهما
اعتراض أى ليكن غرضكم فى مقاتلتهم أنتهاءهم عما هم عليه بعد ما
وجد منهم من العظائم وهذا من غاية كرمه على المسىء ثم حرض
على القتال فقال ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم التى حلفوها فى
المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة وهم بدءوكم أول مرة
بالقتال والبادىء أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم وبخهم بترك
مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها من

قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور
قوم مؤمنين (14) ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء
والله عليم حكيم (15) أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة
والله خبير بما تعملون (16) ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد
الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار
هم خالدون (17)

التوبة 13 - 17
نكث العهد واخرج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب اتخشونهم
توبيخ على الخشية منهم فالله أحق أن تخشوه بأن تخشوه فقاتلوا
اعداءه إن كنتم مؤمنين فاخشوه أى أن قضية الإيمان الكامل أن لا
يخشى المؤمن إلا ربه ولا يبال بمن سواه ولما وبخهم الله على ترك
القتال جردلهم الأمر به بقوله قاتلوهم ووعدهم النصر ليثبت قلوبهم
وتصح نياتهم بقوله يعذبهم الله بأيديكم قتلا ويخزهم أسرا وينصركم

عليهم يغلبكم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين طائفة منهم وهم
خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذهب غيظ قلوبهم
لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعيد كلها فكان
دليلا على صحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان
بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم
كأبى سفيان وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو وهى ترد على
المعتزلة قولهم إن الله تعالى شاء أن يتوب على جميع الكفرة لكنهم
لا يتوبون باختيارهم والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان
حكيم في قبول التوبة أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم أم منقطعة والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان
أى لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين
جاهدوا فى سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين وليجة أى بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على أن تبين ذلك
متوقع كائن و أن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين
المخلصين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة
كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين
وليجة من دون الله والمراد بنفىالعلم نفى المعلوم كقولك ما علم
الله منى ما قيل فى تريد ما وجد ذلك منى والمعنى احسبتم أن
تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين والله خبير بما تعملون من
خير أو شر فيجازيكم عليه ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام
أن يعمروا مساجد الله مسجد الله مكى وبصرى يعنى المسجد
الحرام و إنما

إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى
الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (18)
أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم
الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم
الظالمين (19)

التوبة 17 - 19
جمع فى القراءة بالجمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامر

جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد أو أريد جنس المساجد و إذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذى هو صدر الجنس وهو آكد إذ طريقه طريق الكناية كما تقول فلان لا يقرأ كتب الله فانه أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك شاهدين على أنفسهم بالكفر باعترافهم بعبادة الاصنام وهو حال من الواو فى يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين امرين متضادين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون دائمون إنما يعمر مساجد الله عمارتها رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا لانها بنيت للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم من آمن بالله واليوم الآخر ولم يذكر الإيمان بالرسول عليه السلام لما علم أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول لاقترانهما فى الأذان والإقامة وكلمة الشهادة وغيرها أو دل عليه بقوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وفى قوله ولم يخش إلا الله تنبيه على الاخلاص والمراد الخشية فى أبواب الدين بألآ لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف إذ المؤمن قد يخشى المحاذير ولا يتمالك ألا يخشاها وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفى تلك الخشية عنهم فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم فى الانتفاع بأعمالهم لأن عسى كلمة اطماع والمعنى إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها عند الله دون من سواهم أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية و لا بد من مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراء ابن الزبير سقاة الحاج وعمارة المسجد الحرام والمعنى انكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحيطة بأعمالهم المثبتة و أن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر لأنهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما نزلت جوابا لقول العباس حين أسر فطفق على رضى الله عنه يوبخه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم تذكر

الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون (20) يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم (21) خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم (22) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون (23) قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين (24) لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين (25)

التوبة 20 - 25
مساوينا وتدع محاسننا فقيل أولكم محاسن فقال نعمر المسجد ونسقي الحاج ونفك العانى وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيبة بالعمارة وعلى رضى الله عنه بالإسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم أولئك اعظم درجة عند الله من أهل السقاية والعمارة وأولئك هم الفائزون لا أنتم المختصون بالفوز دونهم يبشرهم ربهم يبشرهم حمزة برحمة منه ورضوان و جنات تنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف لهم فيها فبالجنات نعيم مقيم دائم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم لا ينقطع لما أمر الله النبى عليه السلام بالهجرة جعل الرجل يقول لابنة ولاخيه ولقرابته أنا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه ومنهم من تتعلق به زوجته أو ولده فيقول تدعنا بلا شيء فنضيع فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان أى آثروه واختاروه ومن يتولهم منكم أى ومن يتول الكافرين فأولئك هم الظالمون قل إن كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم أقاربكم وعشيراتكم أبو بكر واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره وهو عذاب عاجل أو عقاب آجل أو فتح مكة والله لا يهدى القوم الفاسقين و الآية تنعى على الناس ما هم

عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين إذ لا تجد عند أورع الناس ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والأموال والحظوظ لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة كوقعة بدر وقريظة والنضير والحديبية

ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين (26) ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم (27) يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم (28)

التوبة 25 - 28
وخيبر وفتح مكة وقيل إن المواطن التى نصر الله فيها النبي عليه السلام والمؤمنين ثمانون موطنا ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها ويوم أى واذكروا يوم حنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الواقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله عليه الصلاة والسلام إذ بدل من يوم أعجبتكم كثرتكم فأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت فى مركزه ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجام دابته وابو سفيان بن الحرث ابن عمه آخذا بركابه فقال للعباس صح بالناس وكان صيتنا فنادى يا أصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا وكان من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد وإليك المشتكى و أنت المستعان وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع أى مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور فى موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أى ملتبسابها والمعنى لم تجدوا موضعا لفراركم عن اعدائكم فكأنها ضاقت عليكم ثم وليتم

مدبرين ثم انهزمتم ثم أنزل الله سكينته رحمته التى سكنوا بها وأمنوا على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها يعنى الملائكة وكانوا ثمانية آلاف أو خمسة آلاف أو ستة عشر ألفا وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر وسبى النساء والذرارى وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وهم الذين أسلموا منهم والله غفور بستر كفر العدو بالإسلام رحيم بنصر الولى بعد الانهزام يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس أى ذوو نجس وهو مصدر يقال نجس نجسا وقذر وقذرا لأن معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس و لأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهى ملابسة لهم أو جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة فى وصفهم بها فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون فى الجاهلية بعد عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (29) وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون (30)

التوبة 28 - 30
حين أمر أبو بكر رضى الله عنه على الموسم ويكون المراد من نهى القربان النهى عن الحج والعمرة وهو من مذهبنا ولا يمنعون دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندنا وعند الشافعى رحمه الله يمنعون عن المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره وقيل نهى المشركين أن يقربوه راجع إلى نهى المسلمين عن تمكينهم منه و إن خفتم عيلة أى فقرا بسبب منع المشركين عن الحج وما كان لكم فى قدومهم عليكم من الأرفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من الغنائم أو المطر والنبات أو من متاجر حجيج الإسلام إن شاء هو تعليم لتعليق الأمور بمشيئة الله تعالى لتنقطع الآمال إليه إن الله عليم بأحوالكم حكيم فى تحقيق آمالكم أو عليم بمصالح العباد حكيم فيما تحكم وأراد ونزل فى أهل الكتاب قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله لأن اليهود مثنيه والنصارى مثلثة ولا

باليوم الآخر لأنهم فيه على خلاف ما يجب حيث يزعمون أن لا اكل فى الجنة ولا شرب ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله لأنهم لا يحرمون ما حرم فى الكتاب والسنة أو لا يعملون بما فى التوراة والإنجيل ولا يدينون دين الحق ولا يعتقدون دين الإسلام الذى هو الحق يقال فلان يدين بكذا إذا اتخذه دينه ومعتقده من الذين أوتوا الكتاب بيان للذين قبله و اما المجوس فملقحون باهل الكتاب فى قبول الجزية وكذا الترك والهنود وغيرهما بخلاف مشركى العرب لما روى الزهرى أن النبى عليه السلام صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا من كان من العرب حتى يعطوا الجزية إلى أن يقبلوها وسميت جزية لأنه يجب على أهلها أن يجزوه أى يقضوه أو هى جزاء على الكفر على التحميل فى تذليل عن يد أى عن يد موانية غير ممتنعه ولذا قالوا أعطى بيده إذا انقاد وقالوا انزع يده عن الطاعة أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد أحد ولكن عن يد المعطى إلى يد الآخذ وهم صاغرون أى تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن يأتى بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس و أن يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيه ويقال له أد الجزية يا ذمى وان كان يؤديها ويزخ فى قفاه وتسقط بالإسلام وقالت اليهود كلهم أو بعضهم عزير ابن الله مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمى ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون وهم عاصم وعلى فقد جعله عربيا وقالت النصارى المسيح ابن الله ذاك قولهم بأفواههم

اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون (31) يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون (32) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (33) يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم (34)

التوبة 30 - 34

أى قول لا يعضده برهان ولا يستند إلى بيان فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالألفاظ المهملة يضاهون قول الذين كفروا من قبل لابد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهى قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعا يعنى أن الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهى قولهم قول قدمائهم يعنى أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو الضمير للنصارى أى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لأنهم أقدم منهم يضاهئون عاصم و أصل المضاهاة المشابهة والأكثر ترك الهمز واشتقاقه من قولهم امرأة ضهياء وهى التى أشبهت الرجال بأنها لا تحيض كذا قاله الزجاج قاتلهم الله أى هم احقاء بان يقال لهم هذا أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق بعد قيام البرهان اتخذوا أى أهل الكتاب أحبارهم علماءهم ورهبانهم نساكهم أربابا ألهة من دون الله حيث اطاعوهم فى تحليل ما حرم الله وتحريم ما احل الله كما يطاع الأرباب فى اوامرهم ونواهيهم والمسيح ابن مريم عطف على أحبارهم أى اتخذوه ربا حيث جعلوه ابن الله وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا يجوز الوقف عليه لأن ما بعده يصلح ابتداء ويصلح وصفا لواحد لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون تنزيه له عن الإشراك يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون مثل حالهم فى طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ فى نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الإشراق ليطفئه بنفخه أجرى ويأبى الله مجرى لا يريد الله ولذا وقع في مقابلة يريدون و إلا لا يقال كرهت أو أبغضت إلا زيدا هو الذى أرسل رسوله محمدا عليه السلام بالهدى بالقرآن ودين الحق الإسلام ليظهره ليعليه على الدين كله على أهل الاديان كلهم أو ليظهر دين الحق على كل دين ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس استعار

يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون (35) إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم

وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين (36)

التوبة 34 - 36
الأكل للأخذ بالباطل أى بالرشا فى الأحكام ويصدون سفلتهم عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة يجوز أن يكون إشارة إلى الكثير من الأحبار والرهبان للدلالة على إجتماع خصلتين ذميمتين فيهم اخذ الرشا وكنز الاموال والضن بها عن الإنفاق فى سبيل الخير ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من أهل الكتاب تغليظا وعن االنبى صلى الله عليه وسلم ما أدى زكاته فليس بكنز و إن كان باطنا وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز و إن كان ظاهرا ولقد كان كثير من الصحابة رضى الله عنهم كعبد الرحمن بن عوف وطلحة يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن اعرض عن القنية لأن الاعراض اختيار للأفضل والاقتناء مباح لا يذم صاحبه ولا ينفقونها فى سبيل الله الضمير راجع إلى المعنى لأن كل واحد منهما دنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا أو اريد الكنوز والاموال أو معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله ... فانى وقيار بها لغريب ... وقيار كذلك وخصا بالذكر من بين سائر الأموال لانهما قانون التمول وأثمان الأشياء وذكر كنزهما دليل على ما سواهما فبشرهم بعذاب أليم ومعنى قوله يوم يحمى عليها فى نار جهنم أن النار تحمى عليها أى توقد و إنما ذكر الفعل لأنه مسند إلى الجار والمجرور أصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى لانتقال الإسناد عن النار إلى عليها كما تقول رفعت القصة إلى الأمير فإن لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وخصت هذه الأعضاء لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا و إذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم أو معناه يكون على الجهات الأربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم لأنفسكم يقال لهم هذه ما كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وما علمتم انكم كنزتموه لتستضربه انفسكم وهو توبيخ فذوقوا ما كنتم تكنزون أى وبال المال الذى كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا من غير زيادة والمراد بيان أن أحكام الشرع تبتنى على الشهور القمرية المحسوبة بالأهلة دون الشمسية

إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين (37) يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل (38)

التوبة 36 - 38
فى كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه أو فى اللوح يوم خلق السموات و الأرض منها أربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة للقعود عن القتال وذو الحجة للحج والمحرم لتحريم القتال فيه وواحد فرد وهو رجب لترجيب العرب إياه أى لتعظيمه ذلك الدين القيم أى الدين المستقيم لا ما يفعله أهل الجاهلية يعنى أن تحريم الاربعة الأشهر هو الدين المستقيم ودين إبراهيم وإسماعيل وكانت العرب تمسكت به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسىء فغيروا فلا تظلموا فيهن فى الحرم أو فى الاثنى عشر انفسكم بارتكاب المعاصى وقاتلوا المشركين كافة حال من الفاعل أو المفعول كما يقاتلونكم كافة جميعا واعلموا أن الله مع المتقين أى ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان النصرة لاهلها إنما النسىء بالهمزة مصدر نساءه إذا أخره وهو تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر زيادة فى الكفر أى هذا الفعل منهم زيادة فى كفرهم يضل كوفى غير أبى بكر به الذين كفروا بالنسىء والضمير فى يحلونه عاما ويحرمونه عاما للنسىء أى إذا احلوا شهرا من الأشهرعاما رجعوا فحرموه في العام القابل ليواطئوا عدة ما حرم الله ليوافقوا العدة التى هى الأربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذى هو أحد الواجبين واللام تتعلق بيحلونه ويحرمونه او بيحرمونه فحسب وهو الظاهر فيحلوا ما حرم الله أى فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك

الاختصاص للاشهر بعينها زين لهم سوء اعمالهم زين لهم الشيطان ذلك فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدى القوم الكافرين حال اختيارهم الثبات على الباطل يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا اخرجوا فى سبيل الله اثاقلتم تثاقلتم وهو أصله إلا أن التاء أدغمت فى التاء

إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير (39) إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم (40)

التوبة 38 - 40

فصارت ثاء ساكنة قد خلت ألف الوصل لئلا يبتدأ بالساكن أى تباطأتم إلى الأرض ضمن معنى الميل والاخلاد فعدى بالى أى ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه أو ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم وكان ذلك فى غزوة تبوك استنفروا فى وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة إلا ورى عنها بغيرها إلا فى غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدل الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة فى جنب الآخرة إلا قليل إلا تنفروا إلى الحرب يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدراين و أنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خير منهم واطوع و أنه غنى عنهم فى نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير فى ولا تضروه للرسول عليه السلام لأن الله وعده أن يعصمه من الناس و أن ينصره ووعده كائن لا محالة والله على كل شيء من التبديل والتعذيب وغيرهما قدير إلا تنصروه فقد نصره الله إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله على أنه ينصره فى المستقبل كما نصره فى ذلك الوقت إذ أخرجه الذين كفروا أسند الإخراج إلى الكفار لأنهم حيث هموا بإخراجه أذن الله له فى الخروج فكأنهم

أخرجوه ثانى اثنين أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله و ابو بكر وانتصابه على الحال إذ هما بدل من إذ أخرجه فى الغار هو نقب فى أعلى ثور وهو جبل فى يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا إذ يقول بدل ثان لصاحبه لا تحزن إن الله معنا بالنصره والحفظ قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ماظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضنتا فى أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر صحبة أبى بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة فانزل الله سكينته ما القى فى قلبه من الأمنة التى سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون

انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (41) لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون (42) عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين (43)

التوبة 40 - 43

إليه عليه على النبى صلى الله عليه وسلم أو على أبى بكر لأنه كان يخاف وكان عليه السلام ساكن القلب وأيده بجنودكم تروها هم الملائكة صرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه أو أيده بالملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين وجعل كلمة الذين كفروا أى دعوتهم إلى الكفر السفلى وكلمة الله دعوته إلى الإسلام هى فصل العليا وكلمة الله بالنصب يعقوب بالعطف والرفع على الاستئناف أوجه إذ هى كانت ولم تزل عاليه والله عزيز يعز بنصره أهل كلمته حكيم يذل أهل الشرك بحكمته انفروا خفافا فى النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبابا وشيوخا أو مهازيل وسمانا

أو صحاحا ومرضا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم إيجاب للجهاد بهما إن امكن أو باحدهما على حسب الحال والحاجة فى سبيل الله ذلكم الجهاد خير لكم من تركه إن كنتم تعلمون كون ذلك خيرا فبادروا إليه ونزل فى المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين لو كان عرضا هو ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أى لو كان مادعوا إليه مغنما قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا وسطا مقاربا والقاصد والقصد المعتدل لاتبعوك لوافقوك فى الخروج ولكن بعدت عليهم المشقة المسافة الشاطة الشاقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم من دلائل النبوة لأنه أخبر بما سيكون بعد القفول فقالوا كما اخبر وبالله متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد فى الوجهين أى سيحلفون يعنى المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم أو سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابى القسم ولو جميعا ومعنى الاستطاعة إستطاعة العدة أو استطاعة الأبدان كأنهم تمارضوا يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون أو حال منه أى مهلكين والمعنى أنهم يهلكونها بالحلف الكاذب أو حال من لخرجنا أى لخرجنا معكم و إن اهلكنا أنفسنا وألقيناها فى التهلكة بما نحملها على المسير فى تلك الشقة والله يعلم أنهم لكاذبون فيما يقولون عفا الله عنك كناية من الزلة لأن العفو رادف لها

لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين (44) إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون (45) ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين (46) لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين (47)

التوبة 43 - 47

وهو من لطف العتاب بتصدير العفو فى الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الأنبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الأنبياء

عليهم السلام لم أذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك أذنت لهم فى القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالإذن حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين يتبين لك الصادق فى العذر من الكاذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما إذنه للمنافقين وأخذه الفدية من الأسارى فعاتبه الله وفيه دليل جواز الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام لأنه عليه السلام إنما فعل ذلك بالاجتهاد و إنما عوتب مع أن له ذلك لتركه الأضفل وهم يعاتبون على ترك الأفضل لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا ليس من عادة المؤمنين أن يسستأذوك فى أن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين عدة لهم بأجزل الثواب إنما يستأدنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر يعنى المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا وارتابت قلوبهم شكوا فى دينهم واضطربوا فى عقيدتهم فهم فى ريبهم يترددون يتحيرون لأن التردد ديدن المتحير كما أن الثبات ديدن المستبصر ولو أرادوا الخروج لأعدوا له للخروج أو للجهاد عدة اهبة لأنهم كانوا مياسير للغزو ولما كان ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم قيل ولكن كره الله انبعاثهم نهوضهم للخروج كأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم فثبطهم فكسلهم وضعف رغبتهم فى الانبعاث والتثبيط التوقيف عن الامر بالتزهيد فيه وقيل اقعدوا أى قال بعضهم لبعض أو قاله الرسول عليه السلام غضبا عليهم أو قاله الشيطان بالوسوسة مع القاعدين هو ذم لهم وإلحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود فى البيوت لو خرجوا فيكم مازادوكم بخروجهم معكم إلا خبالا إلا فسادا وشرا والاستثناء متصل لأن المعنى مازادوكم شيئا إلا خبالا والاستثناء المنقطع أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك مازادوكم خيرا إلا خبالا والمستثنى منه فى هذا الكلام غير مذكور و إذا لم يذكر وقع الاستثناء من الشيء فكان استثناء متصلا لأن الخبال بعضه ولأوضعوا

لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون (48) ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (49) إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون (50) قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله

فليتوكل المؤمنون (51) قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون (52)

التوبة 47 - 52
خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وإفساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا إذا أسرع وأوضعته أنا والمعنى ولأوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشى وخط فى المصحف ولا اوضعوا بزيادة الألف لأن الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخط العربى والخط العربى اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقى من تلك الألف أثر فى الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحها ألفا أخرى ونحوه اولا أذبحنه يبغونكم حال من الضمير فى أوضعوا الفتنة أى يطلبون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلافة فيما بينكم ويفسدوا نياتكم فى مغزاكم وفيكم سماعون لهم أى نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم والله عليم بالظالمين بالمنافقين لقد ابتغوا الفتنة بصد الناس أو بأن يفتكوا به عليه السلام ليلة العقبة أو بالرجوع يوم أحد من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء فى إبطال أمرك حتى جاء الحق وهو تأييدك ونصرك وظهر أمر الله وغلب دينه وعلاشرعه وهم كارهون أى على رغم منهم ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ولا توقعنى فى الفتنة وهى الاثم بأن لا تأذن لى فانى أن تخلفت بغير إذنك أثمت أولا تلقنى فى الهلكة فانى إذا خرجت معك هلك مالى وعيالى وقيل قال الجد بن قيس المنافق قد علمت الانصار إنى مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر يعنى نساء الروم ولكنى أعينك بمالى فاتركنى ألا فى الفتنة سقطوا يعنى أن الفتنةهى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف و إن جهنم لمحيطة بالكافرين الآن لأن أسباب الاحاطة معهم أو هى تحيط بهم يوم القيامة إن تصبك فى بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم و إن تصبك مصيبة نكبة وشدة فى بعضها نحو ما جرى يوم أحد يقولوا قد اخذنا أمرنا الذى نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك إلى أهاليهم وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا أى قضى من خير أو شر هو مولانا أى الذى يتولانا ونتولاه وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا

على غير الله قل هل تربصون بنا

قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين (53) وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون (54) فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون (55)

التوبة 52 - 55
تنتظرون بنا إلا إحدى الحسنيين وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم إحدى السوأيين اما أن يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود أو بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا إنا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل أنفقوا فى وجوه البر طوعا أو كرها طائعين أو مكروهين نصب على الحال كرها حمزة وعلى وهو أمر فى معنى الخبر ومعناه لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه استغفر لهم أولا تستغفر لهم وقوله ... اسيئى بنا أو احسنى لا ملومة ... لدينا ولا مقلية إن تقلت ...
أى لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك اسأت الينا أو أحسنت وقد جاز عكسه فى قولك رحم الله زيدا ومعنى عدم القبول أنه عليه السلام يردها عليهم ولا يقبلها أو لا يثيبها الله وقوله طوعا أى من غير إلزام من الله ورسوله وكرها أى ملزمين وسمى الالزام إكراها لأنهم منافقون فكان إلزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه إنكم تعليل الرد انفاقهم كنتم قوما فاسقين متمردين عاتين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم وبالياء حمزة وعلى إلا أنهم كفروا أنهم فاعل منع وهم و أن تقبل مفعولاه أى وما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى جمع كسلان ولا ينفقون إلا وهم كارهون لأنهم لا يريدون بهما وجه الله تعالى وصفهم بالطوع فى قوله طوعا وسلبه عنهم ههنا لأن المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذلك إلا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله

ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا الاعجاب بالشيء أن تسربه سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ما اوتوا من زينة الدنيا فإن الله إنما اعطاهم ما أعطاهم ليعذبهم بالمصائب فيها أو بالانفاق منه فى أبواب الخير وهم كارهون له أو بنهب أموالهم وسبىء اولادهم أو يجمعها

ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون (56) لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون (57) ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون (58) ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون (59) إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم (60)

التوبة 55 - 60
وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب وتزهق انفسهم وهم كافرون وتخرج أرواحهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الآية على بطلان القول بالاصلح لأنه أخبر أن إعطاء الاموال والأولاد لهم للتعذيب والأمانة على الكفر و على ارادة الله تعالى المعاصى لأن ارادة العذاب بارادة ما يعذب عليه وكذا ارادة الأمانة على الكفر ويحلفون بالله أنهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالإسلام تقية لو يجدون ملجأ مكانا يلجئون إليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة أو مغارات أو غيرانا أو مدخلا أو نفقا يندسون فيه وهو مفتعل من الدخول لولوا إليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون إسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح ومنهم ومن المنافقين من يلمزك فى الصدقات يعيبك فى قسمة الصدقات ويطعن عليك فإن اعطوا منها رضوا و إن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون إذا للمفاجأة أى وإن لم يعطوا منها فاجئوا السخط وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لأنه عليه السلام استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر

المنافقون منه ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون جواب لو محذوف تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم و إن قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتنيا رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر مما آتانا اليوم أنا الى الله فى أن يغنمنا ويخولنا فضله الراغبون ثم بين مواضعها التى توضع فيها فقال إنما الصدقات للفقراء والمساكين قصر جنس الصدقات على الأصناف المعدودة أى هى مختصة بهم لا تتجاوز إلى غيرهم كأنه قيل إنما هى لهم لا لغيرهم كقولك إنما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وان تصرف إلى بعضها كما هو مذهبنا وعن

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم (61)

حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابةو التابعين أنهم قالوا فى أى صنف منها وضعتها أجزأك وعند الشافعى رحمه الله لا بد من صرفها إلى الأصناف وهو المروى عن عكرمة ثم الفقير الذى لا يسأل لأن عنده ما يكفيه للحال والمسكين الذى يسأل لأنه لا يجد شيئا فهو أضعف حالا منه وعند الشافعى رحمه الله على العكس والعاملين عليها هم السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم على الإسلام أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على أن يسلموا وقوم منهم أسلموا فيعطيهم تقريرا لهم على الإسلام وفى الرقاب وهم المكاتبون يعانون منها والغارمين الذين ركبتهم الديون وفى سبيل الله فقراء الغزاة أو الحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله وعدل عن اللام إلى الاربعة الأخيرة للايذان بأنهم أرسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لأنه فى للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيها الصدقات عليهم ممن سبق ذكره لأن فى للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن

توضع ويجعلوا مظنة لها وتكرير فى قوله فى سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين و إنما وقعت هذه الآية فى تضاعيف ذكر المنافقين ليدل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسما لأطماعهم واشعارا بأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم ومالها وما سلطهم على التكلم فيها ولمن قاسمها وسهم المؤلفة قلوبهم سقط باجماع الصحابة فى صدر خلافة أبى بكر رضى الله عنه لأن الله أعز الإسلام وأغنى عنهم والحكم متى ثبت معقولا لمعنى خاص يرتفع وينتهى بذهاب ذلك المعنى فريضة من الله فى معنى المصدر المؤكد لأن قوله إنما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم والله عليم بالمصلحة حكيم فى القسمة ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن الاذن الرجل الذى يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمى بالجارجة التى هى آلة السماع كأن جملته أذن سامعه وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو أذن قصدوا به المذمة و أنه من أهل سلامة القلوب والغرة ففسره الله تعالى بما هو مدح له وثناء عليه فقال قل أذن خير لكم كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن ويجوز أن يريد هو اذن فى الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذان فى غير ذلك ثم فسر كونه أذن خير بأنه يؤمن بالله أى يصدق لما قام عنده من الأدلة ويؤمن للمؤمنين ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والأنصار وعدى فعل الإيمان بالباء إلى الله لأنه قصد به التصديق بالله الذى هو ضد الكفر به و إلى المؤمنين باللام لأنه قصد السماع من المؤمنين و أن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده ألا ترى إلى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف ينبىء عن الباء

يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين (62) ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم (63) يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤوا إن الله مخرج ما تحذرون (64) ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون (65)

التوبة 61 - 65
ورحمه بالعطف على أذن ورحمه حمزة عطف على خير اي هو أذن
خير وأذن رحمه لا يسمع غيرهم ولا يقبله للذين آمنوا منكم أى وهو
رحمه للذين آمنوا منكم أى أظهروا الإيمان أيها المنافقون حيث يقبل
إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل
بالمشركين أو هو رحمة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر إلى
الإيمان ويشفع لهم فى الاخرة بايمانهم فى الدنيا والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب أليم فى الدارين يحلفون بالله لكم ليرضوكم
الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون
عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف
ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن
كانوا مؤمنين أى أن كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من أرضيتم الله
ورسوله بالطاعة والوفاق و إنما وحد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا
الله ورضا رسول الله فكانا في حكم شيء واحد كقولكم إحسان زيد
وإجماله نعشنى أو والله احق أن يرضوه ورسوله كذلك ألم يعلموا أنه
أن الامر والشأن من يحادد الله ورسوله يجاوز الحد بالخلاف وهى
مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فإن له على حذف الخبر أى
فحق أن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم يحذر المنافقون
خبر بمعنى الأمر أى ليحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنزل
بالتخفيف مكى وبصرى تنبئهم بما فى قلوبهم من الكفر والنفاق
والضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت فى معناهم فهى نازلة
عليهم دليله قل استهزءوا أو الأولان للمؤمنين والثالث للمنافقين
وصح ذلك لأن المعنى يقود إليه قل استهزءوا أمر تهديد أن الله مخرج
ما تحذرون مظهر ما كنتم تحذرونه أى تحذرون إظهاره من نفاقكم
وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحى فيهم وفى استهزائهم
بالاسلام واهله حتى قال بعضهم وددت أنى قدمت فجلدت مائة و أنه
لا ينزل فينا شيء يفضحنا ولئن سألتم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى غزوة تبوك وركب من
المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا أنظرونا إلى الرجل يريد أن يفتح
قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال
احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبى االله لا
والله ماكنا

لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب
طائفة بأنهم كانوا مجرمين (66) المنافقون والمنافقات بعضهم من
بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا
الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون (67) وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله
ولهم عذاب مقيم (68)

التوبة 65 - 68

فى شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا فى شيء مما يخوضن فيه الركب ليقصر مضنا على بعض السفر اي ولئن سألتهم وقلت لهم لم قلتم ذلك لقالوا إنما كنا نخوض ونلعب قل يا محمد أبالله ورسوله كنتم تستهزءون لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود فيهم حتى وبخوا بأخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلى حرف التقرير وذلك إنما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد إيمانكم بعد إظهاركم الإيمان إن نعف عن طائفة منكم بتوبتهم وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه إن يعف تعذب طائفة غير عاصم المنافقون والمنافقات الرجال المنافقون كانوا ثلثمائة والنساء المنافقات مائة وسبيعن بعضهم من بعض أي كأنهم نفس واحدة وفيه نفى أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى قولهم ويحلفون بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال يأمرون بالمنكر بالكفر والعصيان وينهون عن المعروف عن الطاعة و الإيمان ويقبضون أيديهم شحا بالمبار والصدقات والإنفاق فى سبيل الله نسوا الله تركوا امره أو غفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله إن المنافقين هم الفاسقون هم الكاملون فى الفسق الذي هو التمرد فى الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذى وصف به المنافقون حين بالغ فى ذمهم وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هى أى النار حسبهم فيه دلالة على عظم عذابها و أنه بحيث لا يزاد عليه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب

وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين ولهم عذاب مقيم دائم معهم فى العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدا

كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون (69) ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (70) والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم (71)

التوبة 69 - 71

من الفضحية ونزول العذاب إن اطلع علىأسرارهم الكاف فى كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم محلها رفع أى انتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلافهم أى تلذذوا بملاذ الدنيا والخلاق النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير أى ما خلق للانسان بمعنى قدر من خير وخضتم فى الباطل كالذى خاضوا كالفوج الذى قاضوا أو كالخوض الذى خاضره والخوض الدخول فى الباطل واللهو و إنما قدم فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه ليذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر فى العاقبة وطلب الفلاح فى الآخرة ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا و الآخرة فى مقابلة قوله وآتيناه أجره فى الدنيا و إنه فى الآخرة لمن الصالحين و أولئك هم الخاسرون ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح هو بدل من الذين و عاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين و أهل مدين هم قوم شعيب والمؤتفكات مدائن قوم لوط وائتفاكهن انقلاب أحوالهن عن

الخير إلى الشر أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم فما صح منه أن يظلمهم بإهلاكهم لأنه حكيم فلا يعاقبهم بغير جرم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفر وتكذيب الرسل والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض فى التناصر والتراحم يأمرون بالمعروف بالطاعة و الإيمان وينهون عن المنكر عن الشرك والعصيان ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهى تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد فى سأنتقم منك يوما إن الله عزيز غالب على كل شيء قادر

وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم (72) يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير (73) يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير (74)

التوبة 71 - 74

عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كل موضعه وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة يطيب فيها العيش وعن الحسن رحمه الله قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد فى جنات عدن هو علم بدليل قوله جنات عدن التى وعد الرحمن وقد عرفت أن الذى والتى وضعا لوصف المعارف بالجمل وهى مدينة فى الجنة ورضوان من الله وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة ذلك إشارة إلى ما وعد أو إلى الرضوان هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا يا أيها النبى جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم فى الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد فى العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن منها ومأواهم جهنم وبئس المصير جهنم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك

شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس ابن سويد فقال والله لئن كان ما يقول محمدا حقا لإخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الأنصارى للجلاس اجل والله إن محمدا صادق و أنت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر يعنى إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير أو هى استهزاؤهم فقال الجلاس يا رسول الله والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد إسلامهم وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام وفيه دلالة على أن الإيمان و الإسلام واحد لأنه قال وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا من قتل محمد عليه السلام أو قتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا ابن أبى و إن لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا

ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين (75) فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون (76) فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون (77)

التوبة 74 - 77

وما عابوا إلا أن إن أغناهم الله ورسوله من فضله وذلك أنهم حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته آثنى عشر ألفا فاستغنى فإن يتوبوا عن الناق يك الثواب خيرا لهم وهى الآية التى تاب عندها الجلاس و إن يتولوا يصروا على النفاق يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم فى الأرض من ولى ولا نصير ينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله روى أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق

لئن رزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجمعة والجماعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة فقال ما هده إلا جزية وقال ارجعا حتى أرى رأيى فلمارجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال أن الله منعنى أن اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها إلى أبى بكر رضى الله عنه فلم يقبلها وجاء بها إلى عمر رضى الله عنه فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمان عثمان رضى الله عنه لئن آتانا من فضله أى المال لتصدقن لنخرجن الصدقة والأصل لنتصدقن ولكن التاء أدغمت فى الصاد لقربها منها ولنكونن من الصالحين باخراج الصدقة فلما آتاهم من فضله أعطاهم الله المال ونالوا مناهم بخلوا به منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون مصرون على الاعراض فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم فأورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم لأنه كان سببا فيه إلى يوم يلقونه أى جزاء فعلهم وهو يوم القيامة بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف

ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب (78) الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم (79) استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين (80)

التوبة 78 - 80

الوعد ثلث النفاق ألم يعلموا يعنى المنافقين أن الله يعلم سرهم أى ما اسروه من النفاق بالعزم على اخلاف ما وعدوه ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن فى الدين وتسمية الصدقة جزية

وتدبير منعها وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء الذين محله النصب أو الرفع على الذم أو الجر على البدل من الضمير فى سرهم ونجواهم يلمزون المطوعين يعيبون المطوعين المتبرعين من المؤمنين فى الصدقات متعلق بيلمزون روى أن رسول االله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فاقرضت ربى أربعة وأمسكت أربعة لعيالى فقال عليه السلام بارك الله لك فيما أعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر إمرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفا وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر والذين عطف على المطوعين لا يجدون إلا جهدهم طاقتهم وعن نافع جهدهم وهما واحد وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع من تمر فقال بت ليلتى أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فلمزهم المتنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء و أما صاع أبى عقيب فالله غنى عنه فيسخرون منهم فيهزءون سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم وهو خبر غير دعاء ولهم عذاب أليم مؤلم لما سأل عبد الله بن عبد الله ابن أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لابيه فى مرضه نزل استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقد أمر أن هذا الامر فى معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم أن تستغفر لهم سبيعن مرة فلن يغفر الله لهم والسبعون جار مجرى المثل فى كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية إذ لو استغفر لهم مدة حياته لن يغفر الله لهم لأنهم كفار والله لا يغفر لمن كفر به والمعنى وان بالغت فى الاستغفار فلن يغفر الله لهم وقد وردت الأخبار بذكر السبيعن وكلها تدل على الكثرة لا على التحديد والغاية ووجه تخصيص السبيعين من بين سائر الأعداد أن العدد قليل وكثير فالقليل ما دون الثلاث والكثير الثلاث فما فوقها و أدنى الكثير الثلاث وليس لأقصاه غاية والعدد أيضا نوعان شفع ووتر واول واول الاشفاع إثنان و أول الاوتار ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجمع الكثير من النوعين لأن فيها اوتارا ثلاثة وأشفاعا ثلاثة والعشرة كمال الحساب لأن ما جاوز العشرة فهو إضافة الآحاد إلى العشرة

فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار

جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (81) فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (82) فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين (83)

التوبة 80 - 83
كقولك اثنا عشر وثلاثة عشر إلى عشرين والعشرون تكرير العشرة مرتين والثلاثون تكريرها ثلاثة مرات وكذلك إلى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكمال الحساب والكثرة منه فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لأقصاه فجاز أن يكون تخصيص السعبين لهذا المعنى والله اعلم ذلك إشارة إلى اليأس من المغفرة بأنهم بسبب أنهم كفروا بالله ورسوله ولا غفران للكافرين والله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن الإيمان ما داموا مختارين للكفر والطغيان فرح المخلفون المنافقون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم وخلفهم بالمدينة فى غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله مخالفة له وهو مفعول له أو حال أى قعدوا لمخالفته أو مخالفين له وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أى لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من باعث الإيمان وداعى الايقان وقالوا لا تنفروا فى الحر قال بعضهم لبعض أو قالوا للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون استجهال لهم لأن من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون فى مشقة الأبد كان اجهل من كل جاهل فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا أى فيضحكون قليلا على فرحهم بتخلفهم فى الدنيا ويبكون كثيرا جزاء فى العقبى إلا أنه اخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقألهم دمع ولا يكتحلون بنوم جزاء بما كانوا يكسبون من النفاق فإن رجعك الله أى ردك من تبوك و إنما قال إلى طائفة منهم لأن منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك فاستأذنوك للخروج إلى غزوة بعد غزوة تبوك فقل لن تخرجوا معى أبدا وبسكون الياء حمزة وعلى و أبو بكر ولن تقاتلوا معى عدوا معى حفص إنكم رضيتم بالقعود أول مرة أول ما دعيتم إلى غزوة تبوك فاقعدوا مع

ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (84) ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون (85) وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين (86) رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (87) لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون (88) أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم (89)

التوبة 83 - 89

الخالفين مع من تخلف بعد وسأل ابن عبد الله بن أبى وكان مؤمنا أن يكفن النبى عليه السلام أباه فى قميصه ويصلى عليه فقبل فاعترض عمر رضى الله عنه فى ذلك فقال عليه السلام ذلك لا ينفعه و إنى أرجو أن يؤمن به ألف من قومه فنزل ولا تصل على أحد منهم من المنافقين يعنى صلاة الجنازة روى أنه اسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب التبرك بثوب النبى صلى الله عليه وسلم مات صفة لأحد أبدا ظرف لتصل وكان عليه السلام إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فقيل ولا تقم على قبره أنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهى أي أنهم ليسوا بأهل للصلاة عليهم لأنهم كفروا بالله ورسوله ولا تعجبك اموالهم واولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون التكرير للمبالغة والتأكيد و أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه و أن يعتقد أنه مهم و لأن كل آية فى فرقة غير الفرقة الأخرى واذا انزلت سورة يجوز أن يراد سورة بتمامها و أن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه أن امنوا بالله بان آمنوا أو هى أن المفسرة وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم ذو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين مع الذين لهم عذر فى التخلف كالمرضى والزمنى رضوا بان يكونوا مع الخوالف أى النساء جمع خالفة وطبع على قلوبهم ختم عليها لاختيارهم الكفر والنفاق فهم لا يفقهون ما فى الجهاد من الفوز والسعادة وما فى التخلف من الهلاك والشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وانفسهم أى إن تخلف

هؤلاء فقد نهض إلى الغزو من هو خير منهم و أولئك هم الملفحون الفائزون بكل مطلوب أعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك

وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم (90) ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم (91) ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون (92) إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون (93)

التوبة 89 - 93

الفوز العظيم قوله أعد دليل على أنها مخلقوة وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم هو من عذر فى الأمر إذا قصر فيه وتوانى وحقيقته أن يوهم أن له عذر فيما فعل ولا عذر له أو المعتذرون بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها إلى العين وهم الذين يعتذرون بالباطل قيل هم أسد وعطفان قالوا إن لنا عيالا و إن بنا جهدا فاذن لنا فى التخلف وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقوا الأعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله فى ادعائهم الإيمان سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب أليم فى الدينا بالقتل وفى الآخرة بالنار ليس على الضعفاء الهرمى والزمنى ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون هم الفقراء من مزينة وجهينة وبنى عذرة حرج إثم وضيق فى التأخر إذا نصحوا لله ورسوله بان آمنوا فى السر والعلن واطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه ما على المحسنين المعذورين الناصحين من سبيل أى لاجناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم والله غفور يغفر تخلفهم رحيم بهم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم لتعطيهم الحمولة قلت حال من الكاف فى أتوك وقد قبله مضمرة أى إذا ما أتوك قائلا لا أجد ما أحملكم عليه تولوا هو جواب إذا واعينهم تفيض من الدمع أى تسيل كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من تفيض دمعها لأن العين جعلت كان

كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز ويجوز أن يكون قلت لا اجد استئنافا كأنه قيل إذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل مالهم تولوا باكين فقيل قلت لا أجد ما احملكم عليه إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالإعتراض حزنا مفعول له ألا يجدوا ما ينفقون لئلا يجدوا ما ينفقون ومحله نصب على أنه مفعول له وناصبه حزنا والمستحملون أبو موسى الأشعرى وأصحابه أو البكاءون وهم ستة نفر من الانصار إنما السبيل على الذين يستاذنونك فى التخلف وهم اغنياء وقوله رضوا استنئاف كأنه قيل مابالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا بأن يكونوا

يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (94) سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون (95) يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين (96) الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم (97)

التوبة 93 - 97
مع الخوالف أى بالانتظام فى جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم يقيمون لأنفسهم عذرا باطلا إذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالباطل لن نؤمن لكم لن نصدقكم وهو علة للنهى عن الاعتذار لأن غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به قد نبانا الله من أخباركم علة لانتفاء تصديقهم لأنه تعالى إذا أوحى إلى رسوله الاعلام بأخبارهم وما في ضمائرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم وسيرى الله عملكم ورسوله أتنيبون أم تثبتون على كفركم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة أى تردون إليه وهو عالم كل سر وعلانية فينبئكم بما كنتم تعلمون فيجازيكم على حسب ذلك سيحلفون بالله لكم إذا انقلتم اليهم لتعرضوا عنهم لتتركوهم ولا توبخوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم أنهم رجس تعليل لترك معاتبتهم أى أن المعاتبة لا تنفع فيهم لا تصلحهم لأنهم

أرجاس لا سبيل إلى تطهيرهم ومأواهم جهنم ومصيرهم النار يعنى وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون أى يجزون جزاء كسبهم يحلفون لكم لترضوا عنهم أى غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك فى دنياهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين أى فإن رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها و إنما قيل ذلك لئلا يتوهم أن رضا المؤمنين يقتضى رضا الله عنهم الأعراب أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن العلم والعلماء وأجدر أن لا يعلموا وأحق بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله يعنى حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه السلام إن الجفاء والقسوة فى الفدادين يعنى الاكرة لأنهم يفدون أى يصيحون فى حروثهم

ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم (98) ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم (99) والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم (100)

التوبة 97 - 100

والفديد الصياح والله عليم بأحوالهم حكيم فى إمهالهم ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق أي يتصدق مغرما غرامة وخسرانا لأنه لا ينفق إلا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر أى دوائر الزمان وتبدل الاحوال بدور الأيام لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من إعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء أى عليهم تدور المصائب والحروب التى يتوقعون وقعوها فى المسلمين السوء مكى و أبو عمرو وهو العذاب والسوء بالفتح ذم للدائرة كقولك رجل سوء فى مقابلة قولك رجل صدق والله سميع ما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرونه ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق فى الجهاد والصدقات قربات أسبابا للقربة عند الله

وهو مفعول ثان ليتخذ وصلوات الرسول أى دعاءه لأنه عليه السلام كان يدعوا للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبى أوفى ألا إنها أى النفقةاو صلوات الرسول قربة لهم قربة نافع وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفى التبنيه والتحقيق المؤذين بثبات الأمر وتمكنه وكذلك سيدخلهم الله فى رحمته أى جنته وما فى السين من تحقيق الوعد ومادل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين و أن لصدقة منه بمكان إذا خلصت النية من صاحبها إن الله غفور يستر عيب المخل رحيم يقبل جهد المقل والسابقون مبتدأ الألولون صفة لهم من المهاجرين تبين لهم وهم الذين صلوا إلى القبلتين أو الذين شهدوا بدرا أو بيعة الرضوان والأنصار عطف على المهاجرين أى ومن الانصار وهم أهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر و أهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين اتبعوهم باحسان من المهاجرين والأنصار فكانوا سائر الصحابة وقيل هم الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة إلى يوم القيامة والخبر رضى الله عنهم بأعمالهم الحسنة ورضوا عنه بما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية وأعد لهم عطف على رضى جنات تجرى تحتها الأنهار من تحتها مكى

وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم (101) وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم (102) خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم (103)

التوبة 100 - 102

خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم يعنى حول بلدتكم وهى المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة واسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن أهل المدينة عطف على خبر المبتدأ الذى هو ممن حولكم والمبتدأ منافقون ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر إذا قدرت و من أهل المدينة قوم مردواعلى النفاق أى

تمهروا فيه على أن مردوا صفة موصوف محذوف وعلى الوجه الأول لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ أو صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره ودل على مهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم أى يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم فى تحامى ما يشككك فى أمرهم ثم قال نحن نعلمهم أى لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع على سرهم غيره لأنهم يبطنون الكفر فى سويداء قلوبهم ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين سنعذبهم مرتين هما القتل وعذاب القبر أو الفضيحة وعذاب القبر أو اخذ الصدقات من اموالهم ونهك أبدانهم ثم يردون إلى عذاب عظيم أى عذاب النار وآخرون أى قوم آخرون سوى المذكورين اعترفوا بذنبوهم أى لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئس ما فعلوا نادمين وكانوا عشرة فسبعة منهم لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسال عنهم فذكر له أنهم اقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتي يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلهم فقال و أنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من اموالكم شيئا فنزل خذ من اموالهم صدقة خلطوا عملا صالحا خروجا إلى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه أو التوبة والاثم وهو من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما فالواو بمعنى الباء لأن الواو للجمع والباء للالصاق فيتناسبان أو المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر فكل واحد منهما مخلوط ومخلوط به كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه بخلاف قولك خلطت الماء باللبن لأنك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به و إذا قلته بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء عسى الله أن يتوب عليهم أن الله غفور رحيم

ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم (104) وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (105) وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب

عليهم والله عليم حكيم (106)

التوبة 103 - 106
ولم يذكر توبتهم لأنه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة خذ من اموالهم صدقة كفارة لذنبوهم وقيل هى الزكاة تطهرهم عن الذنوب وهو صفة لصدقة والتاءللخطاب أو لغيبة المؤنث والتاء فى وتزكيهم للخطاب لا محالة بها بالصدقة والتزكية مبالغة فى التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الانماء والبركة فى المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعوا المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها إن صلواتك صلاتك كوفى غير أبى بكر قيل الصلاة أكثر من الصلوات لانها للجنس سكن لهم يسكنون إليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم والله سميع لدعائك أو سميع لاعترافهم بذنبوهم ودعائهم عليم بما فى ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ألم يعلموا المراد المتوب عليهم أى ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم أن الله هو يقبل التوبة عن عباده إذا صحت ويأخذ الصدقات ويقبلها إذا صارت عن خلوص النية وهو للتخصيص أى أن ذلك ليس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الله هو الذى يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها إليه وان الله هو التواب كثير قبول التوبة الرحيم يعفو الحوبة وقل لهؤلاء التائبين اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين أى فإن عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم أو غير التائبين ترغيبا لهم فى التوبة فقد روى أنه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت وقوله تعالى فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة وستردون إلى عالم الغيب ما يغيب عن الناس والشهادة ما يشاهدونه فينبئكم بما كنتم تعلمون تنبئة تذكير ومجازاة عليه وآخرون مرجون لأمر الله بغير همز مدنى وكوفى غير أبى بكر مرجئون غيرهم من أرجيته وأرجأته إذا أخرته ومنه المرجئة أى وآخرون من المتخلفين موقوفون إلى أن يظهر أمر الله فيهم إما يعذبهم أن أصروا ولم يتوبوا وإما يتوب عليهم إن تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومراره بن الربيع والضابط

والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون (107) لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين (108)

التوبة 106 - 108

مكة تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا فى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا والله عليم برجائهم حكيم فى ارجائهم واما للشك وهو راجع إلى العباد أى خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة وروى أنه عليه السلام أمر أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شد انفسهم على السوارى واظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحدا لا ينظر اليهم فوضوا أمرهم إلى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا تقديره ومنهم الذين اتخذوا الذين بغير واو مدنى وشامى وهو مبتدأ خبره محذوف أى جازيناهم روى أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبنى مسجدا ونرسل إلى رسول الله يصلى فيه ويصلى فيه أبو عامر الراهب إذ قدم من الشام وهو الذى قال لرسول الله عليه السلام يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء وقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة ونحن نحب أن تصلى لنا فيه فقال إنى على جناح سفر واذا قدمنا من تبوك إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فقال لوحشى قاتل حمزة ومعن بن عدى وغيرهما انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام ضرارا مفعول له وكذا ما بعده أى مضارة لاخوانهم أصحاب مسجد قباء وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لأنهم كانوا يصلون مجتمعين فى مسجد قباء فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا لمن واعدادا لأجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب أعدوه له ليصلى فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل كل مسجد بنى مباهاة أو رياء أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لا حق بمسجد بنى الضرار من قبل متعلق بحارب أى من قبل بناء هذا المسجد يعنى يوم الخندق وليحلفن كاذبين أن أردنا إلا الحسنى ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الخصلة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين والله يشهد أنهم لكاذبون فى حلفهم لا تقم فيه أبدا للصلاة لمسجد أسس على التقوى اللام للابتداء وأسس نعت له وهو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة من أول يوم من أيام وجوده قيل القياس فيه مذلأنه الغاية فى الزمان ومن لابتداء الغاية فى المكان والجواب أن من

أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين (109) لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم (110)

التوبة 108 - 110

عام فى الزمان والمكان احق أن تقوم فيه مصليا فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله إنهم لمؤمنون و أنا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون أنتم ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط قالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا النبى عليه السلام رجال يحبون أن يتطهروا قيل هو عام فى التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء ومعنى محبة الله

إياهم أنه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه أفمن أسس بنيانه وضع أساس ما يبنيه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه والمعنى أفمن أساس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهى تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل شفا جرف هار فى قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف فى مقابلة التقوى لأنه جعل مجازا عما ينافى التقوى والشفا الحرف والشفير وجرف الوادى جانبه الذى يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذى أشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف وألفه ليس بألف فاعل و إنما هى عينه وأصله هور فقلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ولا ترىأبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره أفمن أسس بنيانه امن أسس بنيانه شامى ونافع جرف شامى وحمزة ويحيى هار بالامالة أبو عمرو وحمزة فى رواية يحيى فانهار به فى نار جهنم فطاح به الباطل فى نار جهنم ولما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذى هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف هار من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى فى قعرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار والله لا يهدى القوم الظالمين لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لما غاظهم من ذلك وعظم علمهم إلا أن تقطع قلوبهم شامى وحمزة

إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم (111) التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين (112)

التوبة 110 - 112

وحفص اي تنقطع غيرهم تقطع أى إلا أن تقطع قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة ثم يجوز أن يكون ذكر التقطع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو فى القبور أو في النار أو معناه إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم والله عليم بعزائمهم حكيم فى جزاء جرائمهم إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم فى سبيله بالشراء وروى تاجرهم فأغلى لهم الثمن وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابى وهو يقرؤها فقال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو واستشهد يقاتلون فى سبيل الله بيان محل التسليم فيقتلون ويقتلون أى تارة يقتلون العدو وطورا يقتلهم العدو فيقتلون ويقتلون حمزة وعلى وعدا عليه مصدر أى وعدهم بذلك وعدا حقا صفته أخبر أن هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت قد أثبته فى التوراة والانجيل والقرآن وهو دليل على أهل كل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه ثم قال ومن أوفى بعهده من الله لأن اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكريم منا فكيف بأكرم الأكرمين ولا نرى ترغيبا فى الجهاد أحسن منه وأبلغ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به فافرحوا غاية الفرح فانكم تبيعون فانيا بباق وذلك هو الفوز العظيم قال الصادق ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها التائبون رفع على المدح أي هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين أو هو مبتدأ خبره العابدون أى الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وما بعد خبر بعد خبر أى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرءوا من النفاق الحامدون على نعمة الإسلام السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة أمتى الصيام أو طلبة العلم لأنهم يسيحون فى الأرض يطلبونه فى مظانه أو السائرون فى الأرض للاعتبار الراكعون الساجدون المحافظون على الصلوات الآمرون بالمعروف بالإيمان والمعرفة والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصى

ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم (113) وما كان

استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم (114) وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم (115) إن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (116) لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم (117)

التوبة 112 - 117
ودخلت الواو للاشعار بأن السبعة عقد تام أو للتضاد بين الأمر والنهى كما فى قوله ثيبات وأبكارا والحافظون لحدود الله أوامره ونواهيه أو معالم الشرع وبشر المؤمنين المتصفين بهذه الصفات وهم عليه السلام أن يستغفر لأبى طالب فنزل ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفورا للمشركين ولو كانوا اولى قربى أى ماصح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته من بعاد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم من بعد ما ظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك ثم ذكر عذر إبراهيم فقال وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه أى وعد ابوه اياه أن يسلم أو هو وعد أباه أن يستغفر وهو قوله لأستغفر لك دليله قراءة الحسن وعدها اباه ومعنى استغفاره سؤاله المغفرة له بعد ما أسلم أو سؤاله اعطاء الإسلام الذى به يغفر له فلما تبين من جهة الوحى له لابراهيم انه أن أباه عدو لله بأن يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه تبرأ منه وقطع استغفاره إن إبراهيم لاواه وهو المتاوه شفقا وفرقا ومعناه أنه لفرط ترحمه ورقته كان يتعطف على أبيه الكافر حليم هو الصبور على البلاء الصفوح عن الأذى لأنه كان يستغفر لأبيه وهو يقول لأرجمنك وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون أى ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه محذور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يخدلهم إلا إذا قدموا عليه بعد بيان حظره وعلمهم بأنه واجب الاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهى فأما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف إن الله بكل شيء عليم إن الله له ملك السموات و الأرض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لقد تاب الله على النبى أى تاب الله

عليه من إذنه للمنافقين فى التخلف عنه كقوله عفا الله عنك
والمهاجرين والانصار فيه بعث للمؤمنين على التوبة و أنه ما من
مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى

وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت
وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب
عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم (118) يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (119) ما كان لأهل المدينة ومن
حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم
عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل
الله ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب
لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين (120)

التوبة 117 - 120
النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى
ساعة العسرة فى غزوة تبوك ومعناه فى وقتها والساعة مستعملة
فى معنى الزمان المطلق وكانوا فى عسرة من الظهر يعتقب
العشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير
المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة حتى اقتسم التمرة اثنان
وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء ومن الماء حتى نحروا الابل
وعصروا كرشها وشربوه فى شدة زمان من حمارة القيظ ومن
الجدب والقحط من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات
على الإيمان أو عن اتباع الرسول فى تلك الغزوة والخروج معه وفى
كاد ضمير الشأن والجملة بعده فى موضع النصب وهو كقولهم ليس
خلق الله مثله أى ليس الشأن خلق الله مثله يزيغ حمزة وحفص ثم
تاب عليهم تكرير للتوكيد إنه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة أى وتاب
على الثلاثة وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وهو
عطف على النبى الذين خلفوا عن الغزو حتى إذا ضاقت عليهم
الأرض بما رحبت برحبها أى مع سعتها وهو مثل للحيرة فى أمرهم
كأنهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا وضاقت عليهم
أنفسهم أى قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لانها خرجت من فرط
الوحشية والغم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا اليه وعلموا أن لا ملجا

من سخط الله إلا إلى استغفارة ثم تاب عليهم بعد خمسين يوما ليتوبوا ليكونوا من جملة التبوابين إن الله هو التواب الرحيم عن أبى بكر الوراق أنه قال التوبة النصوح أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فى إيمانهم دون المنافقين أو مع الذين لم يتخلفوا أو مع الذين صدقوا فى دين الله نية وقولا وعملا و الآية تدل على أن الإجماع حجة لأنه أمر بالكون مع الصادقين فلزم قبول قولهم ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفواعن رسول الله المراد بهذا النفى النهى وخص هؤلاء بالذكر و إن استوى كل الناس فى ذلك لقربهم منه ولا يخفى عليهم خروجه ولا يرغبوا ولا أن يضنوا بأنفسهم

ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون (121) وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (122)

التوبة 120 - 122

عن نفسه عما يصيب نفسه أى لا يختاروا بقاء انفسهم على نفسه في الشدائد بل أمروا بأن يصحبوه فى البأساء والضراء ويلقوا أنفسهم بين يديه فى كل شدة ذلك النهى عن التخلف بأنهم بسبب أنهم لايصيبهم ظمأ عطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة فى سبيل الله فى الجهاد ولا يطئون موطئا ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وأرجلهم يغيظ الكفار يغضبهم ويضيق صدورهم و لا ينالون من عدو نيلا ولا يصيبون منهم إصابة بقتل أو أسر أو جرح أو كسر أو هزيمة إلا كتب لهم به عمل صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما لكل روعة سبعون ألف حسنة يقال نال منه إذا رزأه ونقصه وهو عام فى كل ما يسوءهم وفيه دليل على أن من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشى وكلام وغير ذلك وعلى أن المدد يشارك الجيش فى الغنيمة بعد انقضاء الحرب لأن وطء ديارهم مما يغيظهم وقد أسهم النبى صلى الله عليه وسلم لابنى عامر وقد قدما بعد تقضى الحرب

والموطئ اما مصدر كالمورد و اما مكان فإن كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيطهم وطؤه إن الله لا يضيع أجر المحسنين أى أنهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم ولا ينفقون نفقة فى سبيل الله صغيرة ولو تمرة ولا كبيرة مثل ما أنفق عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة ولا يقطعون واديا أى أرضا فى ذهابهم ومجيئهم وهو كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو فى الأصل فاعل من ودى إذا سال ومنه الودى وقد شاع فى الاستعمال بمعنى الأرض إلا كتب لهم من الانفاق وقطع الوادى ليجزيهم الله متعلق بكتب أى أثبت فى صحائفهم لأجل الجزاء أحسن ما كانوا يعملون أى يجزيهم على كل واحد جزاء أحسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه به توفيرا لأجرهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة الام لتأكيد النفى أى أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح للافضاء إلى المفسدة فلولا نفر فحين لم يكن نفير الكافة فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة أى من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا فى الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه

يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين (123) وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون (124) وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون (125) أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون (126)

التوبة 122 - 126

ويتجشموا المشاق فى تحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا مرمى همتهم فى التفقة انذار قومهم وارشادهم إذا رجعوا اليهم دون الاعراض الخسيسة من التصدر والترؤس والتشبه بالظلمة فى المراكب والملابس لعلهم يحذرون ما يجب اجتنابه وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك بعد ما أنزل فى المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير وانقطعوا جميعا عن التفقه فى الدين فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى سائرهم يتفقهون حتى لا

ينقطعوا عن التفقه الذى هو الجهاد الاكبر إذ الجهاد بالحجاج أعظم أثرا من الجهاد بالنضال والضمير فى ليتفقهوا للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين إذا رجعوا اليهم بما حصلوا فى أيام غيبتهم من العلوم وعلى الأول الضمير للطائفة النافرة إلى المدينة للتفقه يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم يقربون منكم من الكفار القتال واجب مع جميع الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الأقرب فالأقرب أوجب وقد حارب النبى صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم الشأم والشأم أقرب إلى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم وليجدوا فيكم غلظة شدة وعنفا فى المقال قبل القتال واعملوا أن الله مع المتقين بالنصرة والغلبة و إذا ما انزلت سورة ما صلة مؤكدة فمنهم فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة إيمانا إنكارا واستهزاء بالمؤمنين وأيكم مرفوع بالابتداء وقيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا يقينا وثباتا أو خشية أو إيمانا بالسورة لأنهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلا وهم يستبشرون يعدون زيادة التكليف بشارة التشريف و اما الذين فى قلوبهم مرض شك ونفاق فهو فساد يحتاج إلى علاج كالفساد فى البدن فزادتهم رجسا إلى رجسهم كفروا مضموما إلى كفرهم وماتوا وهم كافرون هو إخبار عن إصرارهم عليه إلى الموت أو لا يرون يعنى المنافقين وبالتاء حمزة خطاب للمؤمنين أنهم يفتنون يبتلون

وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون (127) لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم (128) فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (129)

التوبة 126 - 129

بالقحط والمرض وغيرهما فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون عن نفاقهم ولا هم يذكرون لا يعتبرون أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوبون بما يرون من دولة الإسلام ولاهم يذكرون

بما يقع بهم من الاصطدام و إذا ما انزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحى وسخرية به قائلين هل يراكم من أحد من المسلمين لننصرف فانا لا نصير على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو إذا ما انزلت سورة فى عيب المنافقين أشار بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد إن قمتم من حضرته عليه السلام ثم انصرفوا عن حضرة النبى عليه السلام مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن فهم القرآن بأنهم بسبب أنهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا لقد جاءكم رسول محمد صلى الله عليه وسلم من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربى قرشى مثلكم عزيز عليه ما عنتم شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاءكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع فى العذاب حريص عليكم على ايمانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رءوف رحيم قيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن تولوا فإن أعرضوا عن الإيمان بك وناصبوك فقل حسبى الله فاستعن بالله وفوض إليه أمورك فهو كافيك معرتهم وناصرك عليهم لا إله إلا هو عليه توكلت فوضت أمرى إليه وهو رب العرش هو أعظم خلق الله خلق مطافا لأهل السماء وقبلة للدعاء العظيم بالجر وقرىء بالرفع على نعت الرب جل وعز عن أبى آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية

الر تلك آيات الكتاب الحكيم (1) أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين (2) إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون (3)

سورة يونس عليه السلام مائة وتسع آيات مكية
وكذا ما بعدها إلى سورة النور
بسم الله الرحمن الرحيم
يونس 1 - 3
الر ونحوه ممال حمزة وعلى و أبوعمرو وهو تعديد للحروف على

طريق التحدى تلك آيات الكتاب اشارة إلى ما تضمتنه السورة من الآيات والكتاب السورة الحكيم ذى الحكمة لاشمتاله عليها أو المحكم عن الكذب والاقتراف والهمزة فى أكان للناس عجبا لانكار التعجب والتعجيب منه أن اوحينا اسم كان وعجبا خبره واللام فى للناس متعلق بمحذوف هو صفة لعجبا فلما تقدم صار حالا إلى رجل منهم أن أنذر الناس بأن أنذرا أو هى مفسرة إذ الايحاء فيه معنى القول وبشر الذين آمنوا أن لهم بأن لهم ومعنى اللام فى للناس أنهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منه والذى تعجبوا منه أن يوحى إلى بشر و أن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبى طالب و أن يذكر لهم البعث وينذر بالنيران ويبشر بالجنان وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشرا مثلهم وارسال اليتيم أو الفقير ليس بعجب أيضا لأن الله تعالى إنما يختار للنبوة من جمع أسبابها والغنى والتقدم فى الدنيا ليس من أسبابها والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا إنما العجب والمنكر فى العقول تعطيل الجزاء قدم صدق عند ربهم أى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السعى والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لأن صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم فى الخير واضافتها إلى صدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة أو مقام صدق أو سبق السعادة قال الكافرون إن هذا الكتاب لسحر مبين مدنى وبصرى وشامى ومن قرأ لساحر فهذه إشارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين فى تسميته سحرا إن ربكم

إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون (4) هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون (5)

يونس 3 - 5

الله الذي خلق السموات و الأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش أى استولى فقد يقدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود يدبر يقضى ويقدر على مقتضى الحكمة الأمر أى أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات و الأرض والعرش ولما ذكر ما يدل على عظمته وملكه من خلق السموات و الأرض والاستواء على العرش أتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة و أنه لا يخرج أمر من الامور عن قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع إلا من بعد اذنه دليل على عزته وكبريائه ذلكم العظيم الموصوف بما وصف به الله ربكم وهو الذى يستحق العبادة فاعبدوه وجدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من إنسان أو ملك فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع أفلا تذكرون افلا تتدبرون فتستدلون بوجود المصالح والمنافع على وجود المصلح النافع إليه مرجعكم جميعا حال أى لا ترجعون فى العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه والمرجع الرجوع أو مكان الرحوع وعد الله مصدر مؤكد لقوله إليه مرجعكم حقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أى الحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزى أى ليجزيهم بقسطه وليوفيهم أجورهم او بقسطهم أى بما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا اذ الشرك ظلم إن الشرك لظلم عظيم وهذا أوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ولوجه كلامى هو الذى جعل الشمس ضياء الياء فيه منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقلبها قتيل ؟ ؟ همزة لأنها للحركة اجمل والقمر نورا والضياء أقوى من النور فلذا جعله للشمس وقدره وقدر القمر أى وقدر مسيره منازل أو وقدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل لتعلموا عدد السنين أى عدد السنين والشهور فاكتفى بالسنين لاشتمالها على الشهور والحساب وحساب الآجال والمواقيت المقدرة بالسنين والشهور ما خلق الله ذلك المذكور إلا ملتبسا بالحق الذى هو

إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون (6) إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون (7) أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون (8) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم

ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم (9) دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (10)

يونس 5 - 10
الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا يفصل الآيات مكى وبصرى وحفص وبالنون غيرهم لقوم يعلمون فينتفعون بالتأمل فيها إن فى اختلاف الليل والنهار فى مجيء كل واحد منها خلف الآخر أو فى اختلاف لونيهما وما خلق الله فى السموات و الأرض من الخلائق لآيات لقوم يتقون خصهم بالذكر لأنهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر إلى النظر إن الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم عن التفطن للحقائق أو لا يؤملون حسن لقائنا كما يؤمله السعداء أو لا يخافون سوء لقائنا الذى يجب أن يخاف ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقى واطمأنوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعد ؟ ؟ عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها ولا وقف عليه لأن خبر أن أولئك مأواهم النار فأولئك مبتدأ وماؤهم مبتدأ ثان والنار خبره والجملة خبر أولئك والباء فى بما كانوا يكسبون يتعلق بمحذوف دل عليه الكلام وهو جوزوا إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك الطريق السديد المؤدى إلى الثواب ولذا جعل تجرى من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا إذ التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها أو يهديهم فى الآخرة بنور ايمانهم إلى طريق الجنة ومنه الحديث أن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة والكافر إذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار وهذا دليل على أن الإيمان المجرد منج حيث قال بايمانهم ولم يضم إليه العمل الصالح فى جنات النعيم متعلق بتجرى أو حال من الانهار دعواهم فيها سبحانك اللهم أى دعاؤهم لأن اللهم نداء لله ومعناه اللهم أنا نسبحك أى يدعون الله بقولهم سبحانك اللهم تلذذا بذكره لاعبادة وتحيتهم فيها سلام أى يحيى بعضهم بعضا بالسلام أو هى تحية الملائكة إياهم واضيف المصدر إلى المفعول أو تحية الله لهم وآخر دعواهم وخاتمة دعائهم الذى هو التسبيح أن الحمد

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون (11) وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون (12) ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين (13)

يونس 10 - 13
لله رب العالمين أن يقولوا الحمد لله رب العالمين أن مخففة من الثقيلة واصله أنه الحمد لله رب العالمين والضمير للشأن قيل أول كلامهم التسبيح و آخره التحميد فيبتدءون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بالشكر والثناء عليه ويتكلمون بينهما بما أرادوا ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء اي ولو عجلنا لهم الشر الذى دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه لقضى إليهم أجلهم لأميتوا وأهلكوا لقضى إليهم أجلهم شامى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم شركهم وضلالهم يعمهون يترددون ووجه اتصاله بما قبله أن قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفى التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضى اليهم أجلهم فنذرهم فى طغيانهم أي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزاما للحجة عليهم واذا مس الانسان أصابه والمراد به الكافر الضر دعانا أى دعا الله لإزالته لجنبه فى موضع الحال بدليل عطف الحالين أى أو قاعداأو قائما عليه أى دعانا مضطجعا وفائدة ذكر هذه الأحوال أن المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا فى حالاته كلها كان مضطجعا عاجزا عن النهوض أو قاعدا لا يقدر على القيام أو قائما لا يطيق المشي فلما كشفنا عنه ضره أزلنا ما به مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه أى مضى على طريقته الأولى قبل مس الضر ونسى حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به والأصل كأنه لم يدعنا فخفف وحذف

ضمير الشأن كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين للمجاوزين الحد فى الكفر زين الشيطان بوسوسته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الكفر ولقد أهلكنا القرون من قبلكم يا أهل مكة لما ظلموا أشركوا وهو ظرف لأهلكنا والواو فى وجاءتهم رسلهم للحال ا ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات وما كانو ليؤمنوا أن بقوا ولم يهلكوا لأن الله علم منهم أنهم يصرون

ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون (14) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم (15) قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون (16)

يونس 13 - 16

على كفرهم وهو عطف على ظلموا أو اعتراض واللام لتأكيد النفى يعنى أن السبب فى إهلاكهم تكذيبهم للرسل وعلم الله أنه لا فائدة فى إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعنى الاهلاك نجزى القوم المجرمين وهو وعيد لأهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أى استخلفناكم فى الارض بعد القرون التى اهلكناها لننظر كيف تعملون أى لننظر أتعملون خيرا و شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف فى محل النصب يتعملون لا ينتظر لأن معنى الاستفهام فيه يمنع أن يتقدم عليه عامله والمعنى أنتم بمنظر منا فانظروا كيف تعملون أبالاعتبار بماضيكم أم الاغترار بما فيكم قال عليه السلام الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون و إذا تتلى عليهم آياتنا بينات حال قال الذين لا يرجون لقاءنا لما غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد لأهل الطغيان ائت بقرآن غير هذا ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك أو بدله بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فأمر بأن يجيب عن التبديل لأنه داخل تحت قدرة الانسان وهو أن يضع

مكان آية عذاب آية رحمة و أن يسقط ذكر الآلهة بقوله قل ما يكون لى ما يحل لى أن أبدله من تلقاء نفسى من قبل نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى لا أتبع إلا وحى الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لأن الذى أتيت به من عند الله لا من عندى فابدله إنى أخاف إن عصيت ربى بالتبدليل من عند نفسى عذاب يوم عظيم أى يوم القيامة و أما الايتان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه إلا أنهم كانوا لا يعترفون بالعجز ويقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ولا يحتمل أن يريدوا بقوله ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحى لقوله إنى أخاف أن عصيت ربى عذاب يوم عظيم وغرضهم فى هذا الاقتراح الكيد اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه أنه من عندك وانك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل فلاختيار الحا ل و أنه أن وجد منه تبديل فأما أن يهلكه الله فينجوا منه اولا يهلكه فيسخروا منه فيجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله قل لو شاء الله ما تلوته عليكم يعنى أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله واظهاره أمرا عجيبا

فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون (17) ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون (18) وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون (19)

يونس 16 - 19

خارجا عن العادات وهو أن يخرج رجل أمى لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يغلب كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم الأصول والفروع والاخبار عن الغيوب التى لا يعلمها إلا الله ولا أدراكم به ولا أعلمكم الله بالقرآن على لسانى فقد لبثت فيكم عمرا من قبله من قبل نزول القرآن أى فقد اقمت فيما بينكم اربعين سنة ولم تعرفونى متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت موصوفا بعلم وبيان فتتهمونى باختراعه أفلا تعقلون فتعلموا أنه ليس إلا من عند الله لا من مثلى وهذا جواب عما

دسوه تحت قوله ائت بقرآن غير هذا من إضافا الافترءا إليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله فى أنه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما أضافوه إليه من الافتراء أو كذب بآياته بالقرآن فيه بيان أن الكاذب على الله والمكذب بآياته فى الكفر سواء أنه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله مالايضرهم أن تركوا عبادتها ولا ينفعهم أن عبدوها ويقولون هؤلاء أى الأصنام شفعاؤنا عند الله أى فى أمر الدنيا ومعيشتها لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت أو يوم القيامة أن يكن بعث ونشور قل أتنبئون الله بما لا يعلم أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله و إذا لم يكن معلوما له وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شيئا وقوله فى السموات ولا فى الأرض تأكيد لنفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو معدوم سبحانه وتعالى عما يشركون نزه ذاته عن أن يكون له شريك وبالتاء حمزة وعلى وما موصولة أو مصدريه اى عن الشركاء الذين تشركونهم به أو عن إشراكهم وما كان الناس إلا أمة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك فى عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا فاختلفوا فصاروا مللا ولولا كلمة سبقت من ربكم وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة لقضى بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون فيما اختلفوا فيه وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته لحكمه وهى أن هذه الدار تكليف وتلك الدار دار

ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين (20) وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون (21) هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (22) فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون (23)

يونس 20 - 22
ثواب وعقاب ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه أى آية من الآيات التى اقترحوها فقل إنما الغيب لله أى هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن انزال الآيات المقترحة لا غير فانتظروا نزول ما اقترحتموه إنى معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات و إذا أذقنا الناس أهل مكة رحمة خصبا وسعة من بعد ضراء مستهم يعنى القحط والجوع إذا لهم مكر فى آياتنا أى مكروا بآياتنا بدفعها وإنكارها روى أنه تعالى سلط القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه فإذا الاولى للشرط والثاينة جوابها وهى للمفاجأة وهو كقوله و إن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون أى وان تصبهم سيئة قنطوا و إذا أذقنا الناس رحمة مكروا والمكر إخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوءأثرها فيهم و إنما قال قل الله أسرع مكرا ولم يصفهم بسرعة المكر لأن كلمة المفاجأة دلت على ذلك كأنه قال و إذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رءوسهم من مس الضراء إن رسلنا يعنى الحفظة يكتبون ما تمكرون إعلام بأن ما تظنونه خافيا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وبالياء سهل هو الذى يسيركم فى البر والبحر يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالارجل والدواب والفلك الجارية فى البحار أو يخلق فيكم السير ينشركم شامى حتى إذا كنتم فى الفلك أى السفن وجرين أى السفن بهم بمن فيها رجوع من الخطاب إلى الغيبة للمبالغة بريح طيبة لينة الهبوب لاعاصفة ولا ضعيفة وفرحوا بها بتلك الريح للينها واستقامتها جاءتها أى الفلك أو الريح الطيبة أى تلقتها ريح عاصف ذات عصف أى شديدة الهبوب وجاءهم الموج هو ما علا على الماء من كل مكان من البحر أو من جميع امكنة الموج وظنوا أنهم أحيط بهم أهلكوا جعل إحاطة العدوا بالحى مثلا فى الاهلاك دعوا الله مخلصين له الدين من غير إشراك به لأنهم

إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن

أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون (24)

يونس 22 - 24
لا يدعون حينئذ معه غيره يقولون لئن أنجيتنا من هذه الأهوال أو من هذه الريح لنكونن من الشاكرين لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك ولم يجعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما فى حيزها كأنه قيل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت و كيت من مجئ الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن بالهلاك والدعاء بالإنجاء وجواب إذا جاءتها ودعوا بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض يفسدون فيها بغير الحق باطلا أى مبطلين يا أيها الناس إنما بغيكم على انفسكم أى ظلمكم يرجع اليكم كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها متاع الحياة الدنيا حفص اى تتمتعون متاع الحياة الدنيا وعلى انفسكم خبر لبغيكم غيره بالرفع على أنه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه إنما بغيكم على أمثالكم أو هو خبر ومتاع خبر بعد خبر أو متاع خبر مبتدأ مضمر أى هو متاع الحياة الدنيا وفى الحديث أسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغى وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ومن نكث فانما ينكث على نفسه ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون فنخبركم به ونجازيكم عليه إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء من السحاب فاختلط به بالماء نبات الأرض أى فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس يعنى الحبوب والثمار والبقول والأنعام يعنى الحشيش حتى إذا أخذت الأرض زخرفها زينتها بالنبات واختلاف الوانه وازينت وتزينت به وهو أصله وأدغمت التاء فى الزاى وهو كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من

والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (25)

يونس 24 - 25
ألوان الزين وظن أهلها أهل الأرض أنهم قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها أتاها أمرنا عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم ليلا أو نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصديا شبيها بما يحصد من الزرع فى قطعه واستئصاله كان لم تغن كأن لم يغن زرعها أى لم يلبث حذف المضاف فى هذه المواضع لا بدمنه ليستقيم المعنى بالأمس هو مثل فى الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فينتفعون بضرب الأمثال وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الأرض فى جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه وحكمة التشبيه التنبيه على أن الحياة صفوها شبيتها وكدرها شيبتها كما أن صفوالماء فى أعلى الاناء قال ... ألم تر ... أن العمر كأس سلافة ... فأوله صفو وآخره كدر
وحقيقة تزيين جثة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلوين فالطينة الطيبة تنبت بساتين الانس ورياحين الرحوح وزهرة الزهد وكروم الكرم وحبوب الحب وحدائق الحقيقة وشقائق الطريقة والخبيثة تخرج خلاف الخلف وثمام الاثم وشوك الشرك وشيح الشح وحطب العطب ولعاع اللعب ثم يدعوه معاده كما يحين للحرث حصاده فتزاليه الحياة مغترا كما يهيج النبات مصفرا فتغيب جثته فى الرمس كأن لم تغن بالأمس إلى أن يعود ربيع البعث وموعد العرض والبحث وكذلك حال الدنيا كالماء ينفع قليله ويهلك كثيره ولا بد من ترك مازاد كما لا بد من اخذ الزاد وآخذ المال لا يخلوا من زلة كما أن خائض الماء لا ينجو من بلة وجمعه وإمساكه تلف صاحبه وإهلاكه فما دون النصاب كضحضاح ماء يجاوز بلا احتماء والنصاب كنهر حائل بين المجتاز والجواز إلى المفاز لا يمكن إلا بقنطرة وهى الزكاة وعمارتها بذل الصلاة فمتى اختلت القنطرة غرقته امواج القناطير المقنطرة وعن هذا قال عليه السلام الزكاة قنطرة الإسلام وكذا المال يساعد الأوغاد دون الأمجاد كما أن الماء يجتمع فى الوهاد

دون النجاد وكذالك المال لا يجتمع إلا بكد البخيل كما أن الماء لا يجتمع إلا بسد المسيل ثم يفنى ويتلف ولا يبقى كالماء فى الكف والله يدعو إلى دار السلام وهى الجنة أضافها إلى اسمه تعظيما لها أو السلام والسلامة لأن اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشوا السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم إلا قيلا سلاما سلاما ويهدى من يشاء ويوفق من يشاء إلى صراط مستقيم إلى الإسلام أو طريق السنة فالدعوة عامة على لسان رسول الله بالدلالة والهداية

للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (26) والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (27) ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون (28)

يونس 26 - 28

خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية والمعنى يدعوا العباد كلهم إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون للذين أحسنوا آمنوا بالله ورسله الحسنى المثوبة الحسنى وهى الجنة وزيادة رؤية الرب عز وجل كذا عن أبى بكر وحذيفة وابن عباس و أبى موسى الأشعري وعبادة بن الصامت رضى الله عنهم وفى بعض التفاسير أجمع المفسرون على أن الزيادة النظر إلى الله تعالى وعن صهيب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى اتريدون شيئا ازيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم ندخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فما اعطوا شيئا أحب اليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا للذين أحسنوا الحسنى وزيادة والعجب من صاحب الكشاف أنه ذكر هذا الحديث لا بهذه العبارة وقال أنه حديث مدفوع مع أنه مرفوع قد أورده صاحب المصابيح فى الصحاح وقيل الزيادة المحبة فى قلوب العباد وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان ولا يرهق وجوههم ولا يغشى وجوهم قطر غبرة فيها سواد ولاذلة ولا أثر هوان والمعنى ولا يرهقهم مايرهق أهل النار أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون

والذين كسبوا عطف على للذين أحسنوا أى وللذين كسبوا السيئات فنون الشرك جزاء سيئة بمثلها الباء زائدة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أو التقدير جزاء سيئة مقدرة بمثلها وترهقهم ذلة ذل وهوان مالهم من الله من عقابه من عاصم اى لا يعصمهم أحد من سخطه وعقابه كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اى جعل عليها غطاء من سواد الليل أي هم سود الوجوه وقطعا جمع قطعة وهو مفعول ثان لا غشيت قطعا مكى وعلى من قوله يقطع من الليل وعلى هذه القرءاة مظلما صفة لقطع وعلى الأول حال من الليل والعامل فيه أغشيت لأن من الليل صفة لقطعا فكان افضاؤه إلى الموصوف كافضائه إلى الصفة أو معنى الفعل من الليل أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم أى الكفار وغيرهم جميعا حال ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أى الزموا مكانكم ولا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم أنتم أكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه فزيلنا ففرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا وقال شركاؤهم من عبدوه من دون الله من اولى العقل أو الأصنام ينطقها الله عز وجل ما كنتم إيانا تعبدون إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم وهو قوله ويوم

فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين (29) هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون (30) قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون (31) فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون (32) كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون (33)

يونس 29 - 33

نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم إلى قوله بل كانوا يعبدون الجن فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم أى كفى الله شهيدا وهو تميز أن كنا عن عبادتكم لغافلين أن مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية هنالك فى ذلك المكان أو فى ذلك الوقت على

استعارة اسم المكان للزمان تبلوا كل نفس تختبر وتذوق ما أسلفت من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود وقال الزجاج تعلم كل نفس ما قدمت تتلوا حمزة وعلى أى تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذى هديه إلى طريق الجنة أو النار أو تقرأ فى صحيفتها ما قدمت من خير أو شر كذا عن الاخفش وردوا إلى الله مولاهم الحق ربهم الصادق فى ربوبيته لأنهم كانوا يتولون ماليس لربوبيته حقيقة أو الذى يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذى لا يظلم أحدا وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء لله أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة قل من يرزقكم من السماء بالمطر والأرض بالنبات أمن يملك السمع والأبصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذى سويا عليه من القطرة العجيبة أو من يحميها من الآفات مع كثرتها فى المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيء ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحي أي الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة والحب والكافر والجاهل وعكسها ومن يدبر الأمر ومن يلى تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص فسيقولون الله فسيجيبونك عند سؤالك أن القادر على هذه هو الله فقل أفلا تتقون الشرك فى العبودية إذا اعترفتم بالربوبية فذلكم الله أى من هذه قدرته هو الله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق إلا الضلال أي لا واسطة بين الحق والضلال فمن تخطى الحق وقع في الضلال فاتى تصرفون عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمت ربك كلمات شامى ومدنى أى كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا تمردوا فى كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه أنهم لا يؤمنون

قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون (34) قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون (35) وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون (36)

يونس 34 - 36
بدل من الكلمة أى حق عليهم انتفاء الإيمان أو حق عليهم كلمة الله
أن ايمانهم غير كائن أو أراد الكلمة العدة بالعذاب و أنهم لا يؤمنون
تعليل أى لأنهم قل هل من شركائكم من يبدوا الخلق ثم يعيده إنما
ذكر ثم يعيده وهم غير مقرين بالاعادة لأنه لظهور برهانها جعل امرا
مسلما على أن فيهم من يقر بالاعادة أو يحتمل إعادة غير البشر
كاعادة الليل والنهار وإعادة الانزال والنبات قل الله يبدؤا الخلق ثم
يعيده أمر نبيه بان ينوب عنهم فى الجواب يعنى أنهم لا تدعهم
مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم فأنى تؤفكون فكيف
تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق
يرشد إليه قل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق احق أن يتبع
امن لا يهدى إلا أن يهدى يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين
اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى
اشترى ومنه قراءة حمزة وعلىأمن لا يهدى بمعنى يهتدى لا يهدى
بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكى وشامى وورش وباشمام الهاء
فتحة أبو عمرو وبكسر الهاء وفتح الياء عاصم غير يحيى و الأصل
يهتدى وهى قراءة عبد الله فأدغمت التاء فى الدال وفتحت الهاء
بحركة التاء وكسرت لالتقاء الساكنين وبكسر الياء والهاء وتشديد
الذال يحيى لاتباع ما بعدها وبسكون الهاء وتشديد الدال مدنى غير
ورش والمعنى أن الله وحده هو الذى يهدى للحق بما ركب فى
المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر فى الأدلة التى
نصبها لهم وبما وفقهم والهمهم ووقفهم على الشرائع بارسال الرسل
فهل من شركائكم الذين جعلتم أنداد الله أحد لا يهدى إلى الحق مثل
هداية الله ثم قال أفمن يهدى إلى الحق أحق بالاتباع أم الذى لا يهدى
أى لا يهدى بنفسه أو لا يهدى غيره إلا أن يهديه الله وقيل معناه أم من
لا يهتدى من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه الا ان يهدى إلا أن ينقل أو
لا يهتدى ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى ان يجعله
حيا ناطقا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون أنهم
انداد الله وما يتبع اكثرهم فى قولهم للاصنام أنها آلهة و إنها شفعاء
عند الله والمراد بالأكثر الجميع إلا ظنا بغير دليل وهو اقتداؤهم
بأسلافهم ظنا منهم أنهم مصيبون أن الظن لا يغنى من الحق وهو
العلم شيئا فى موضع المصدر أى اغناء إن الله عليم بما يفعلون من
اتباع

وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (37) أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين (38) بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين (39)

يونس 37 - 39

الظن وترك الحق وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله أى افتراء من دون الله والمعنى وما صح وما استقام أن يكون مثله فى علو امره واعجازه مفترى ولكن كان تصديق الذى بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم لا ريب فيه من رب العالمين داخل فى حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فى ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم أم يقولون افتراه بل أيقولون اختلقه قل إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا أنتم على وجه الافترءا بسورة مثله أى شبيهة به فى البلاغة وحسن النظم فأنتم مثلى فى العربية وادعوا من استطعتم من دون الله أى وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله إن كنتم صادقين أنه افتراه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تاويله بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن فى بديهة السمع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع فى ولما ياتهم تاويله أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدى وجربوا قواهم فى المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعنى كفار الأمم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر

فى معجزاتهم وقبل تدبرها عنادا وتقليدا للآباء ويجوز أن يكون معنى ولما ياتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب أى عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب أم صدق يعنى أنه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل أن يجربوا اخباره بالمغيبات

ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين (40) وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون (41) ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون (42) ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون (43) إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون (44) ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين (45)

يونس 39 - 45
وصدقه وكذبه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به بالنبى أو بالقرآن اي بصدق به فى نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند بالتكذيب ومنهم من لا يؤمن به لا يصدق به ويشك فيه أو يكون للاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك أعلم بالمفسدين بالمعاندين أو المصرين وان كذبوك وان تموا على تكذيبك ويئست من إجابتهم فقل لى عملي جزاء عملى ولكم عملكم جزاء أعمالكم أنتم بريئون مما اعمل و أنا بريء مما تعملون فكل مؤاخذ بعمله ومنهم من يستمعون اليك ومنهم ناس يستمعون اليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون فهم كالصم أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون أتطمع أنك تقدر على اسماع الصم ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم لأن الأصم العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع فى صماخه دوى الصوت فإذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الأمر ومنهم من ينظر اليك ومنهم ناس ينظرون اليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون أتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو

انضم إلى فقد البصر فقد البصيرة لأن الاعمى الذى له فى قلبه
بصيره قد يحدس و اما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعنى أنهم فى
الياس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لا عقول لهم ولا
بصائر أن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون
ولكن الناس حمزة وعلى أى لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنهم
ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جمادا وهم أحياء ويوم
نحشرهم وبالياء حفص كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار استقصروا
مدة لبثهم فى الدنيا أو فى قبورهم لهو ما يرون يتعارفون بينهم
يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلا وذلك عند خروجهم من
القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم كأن لم يلبثوا حول
من هم أى نحشرهم مشبيهين بمن لم يلبثوا إلا ساعة وكأن

وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد
على ما يفعلون (46) ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي
بينهم بالقسط وهم لا يظلمون (47) ويقولون متى هذا الوعد إن
كنتم صادقين (48) قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله
لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (
49) قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه
المجرمون (50)

يونس 45 - 50
مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى كانهم ويتعارفون بينهم حال
بعد حال أو مستأنف على تقديرهم يتعارفون بينهم قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله على إرادة القول أى يتعارفون بينهم قائلين ذلك أو
هي شهادة من الله على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا فى تجارتهم
وبيعهم الإيمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو
استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم وإما نرينك بعض
الذى نعدهم من العذاب أو نتوفينك قبل عذابهم فالينا مرجعهم جواب
نتوفينك وجواب نرينك محذوف اي و إما نرينك بعض الذى نعدهم فى
الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه فى الآخرة ثم الله
شهيد على ما يفعلون ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب
كأنه قيل ثم الله معاقب على ما يفعلون وقيل ثم هنا بمعنى الواو

ولكل أمة رسول يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق فإذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضى بينهم بين النبى ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجى الرسول وعذب المكذبين أو ولكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب إليه وتدعى به فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر و الإيمان قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون لا يعذب أحد بغير ذنبه ولما قال و اما نرينك بعض الذى نعدهم أى من العذاب استعجلوا لما وعدوا من العذاب فنزل ويقولون متى هذا الوعد أى وعد العذاب إن كنتم صادقين أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبى والمؤمنين قل يا محمد لا املك لنفسى ضرا من مرض أو فقر ولا نفعا من صحة أو غنى إلا ماشاء الله استثناء منقطع أى ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب لكل أمة اجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لكل أمة وقت معلوم للعذاب مكتوب فى اللوح فإذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستعجلوا قل أرأيتم أن أتاكم عذابه الذى تستعجلونه بياتا نصب على الظرف أى وقت بيات وهو الليل و انتم ساهون نائمون لا تشعرون أو نهارا وانتم مشتغلون بطلب

أثم إذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون (51) ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون (52) ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين (53) ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون (54) ألا إن لله ما في السماوات والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون (55)

يونس 50 - 55

المعاش والكسب ماذا يستعجل منه المجرمون أى من العذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه موجب للنفور فأى شيء تستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال والاستفهام فى ماذا يتعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبرونى ماذا يتعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبرونى ماذا يستعجل منه المجرموون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا

على الاستعجال أو تعرفوا الخطا فيه ولم يقل ماذا يستعجلون منه لأنه أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام أو ماذا يستعجل منه المجرمون جواب الشرط نحو إن أتيتك ماذا تطعمنى ثم تتعلق الجملة بأرأيتم أو أثم إذا ما وقع العذاب آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراض والمعنى إن اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء فى أفأمن أهل القرى أو أمن أهل القرى آلآن على إرادة القول أى قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون أى بالعذاب تكذيبا واستهزاء آلآن بحذف الهمزة التى بعد اللام والقاء حركتها على اللام نافع ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل آلآن ذوقوا عذاب الخلد أى الدوام هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون من الشرك والتكذيب ويستنبؤنك ويستخبرونك فيقولون احق هو وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود قل يا محمد اي وربى نعم والله إنه لحق إن العذاب كائن لا محالة وما أنتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ولو أن لكل نفس ظلمت كفرت وأشركت وهو صفة لنفس أى ولو أن لكل نفس ظالمة ما فى الأرض فى الدنيا اليوم من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه وأسروا الندامة أمة لما رأوا العذاب واظهروها من قولهم أسر الشيء إذا أظهره أو أخفوها عجزا عن النطق لشدة الأمر فاسر من الأضداد وقضى بينهم بالقسط بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم وهم لا يظلمون ثم اتبع ذلك الأعلام بأن له الملك كله بقوله ألا إن لله مافى السموات و الأرض فكيف يقبل الفداء و أنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب

هو يحيي ويميت وإليه ترجعون (56) يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين (57) قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون (58) قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون (59)

يونس 55 - 59
أو العقاب فهو حق بقوله ألا إن وعد الله بالثواب أو بالعذاب حق كائن ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيى ويميت هو القادر على الاحياء والاماتة لايقدر عليهما غيره و إليه ترجعون إلى حسابه وجزائه المرجع فيخاف ويرجى يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد والموعظة التى تدعوا إلى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب فما فى القرآن من الاوامر والنواهى داع إلى كل مرغوب وزاجر عن كل مرهوب إذ الامر يقتضى حسن الأمور به فيكون مرغوبا وهو يقتضى النهى عن ضده وهو قبيح وعلى هذا فى النهى وشفاء لما فى الصدور اة صدوركم من العقائد الفاسدة وهدى من الضلالة ورحمة المؤمنين لمن آمن به منكم قل يا محمد بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قبل أن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح او بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والإسلام فى الحديث من هداه الله للإسلام وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله الفقر بين عينينه إلى يوم يلقاه وقرأ الآية هو خير مما يجمعون وبالتاء شامى فلتفرحوا يعقوب قل أرأيتم أخبرونى ما أنزل الله لكم من رزق ما منصوب بانزل أو بأرأيتم اي أخبر ونبه فجعلتم منه حراما وحلالا فبغضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله مافى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا نعم الأرزاق تخرج من الأرض ولكن لما نيطت أسبابها بالسماء نحو انظر الذى به تنبت الأرض النبات والشمس التى بها النضج وينع الثمار أضيف إنزالها إلى السماء قل آلله أذن لكم متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى أخبرونى الله أذن لكم فى التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم على الله تفترون أم انتم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه أو الهمزة للانكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقرير للافتراء والآية زاجرة عن التجوز فيما يسأل من الأحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه و أن لا يقول أحد فى شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان

وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون (60) وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين (61) ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (62) الذين آمنوا وكانوا يتقون (63) لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم (64)

يونس 60 - 64

وإتقان و إلا فهو مفتر على الديان وما ظن الذين يفترون على الله الكذب ينسبون ذلك إليه يوم القيامة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه أى شيء ظن المفترين فى ذلك اليوم ما يصنع بهم وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره إن الله لذوا فضل على الناس حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحى وتعليم الحلال والحرام ولكن أكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه وما تكون فى شأن ما نافية والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والشأن الأمر وما تتلوا منه من التنزيل كأنه قيل وما تتلوا من التنزيل من قران لأن كل جزء منه قران والاضمار قبل الذكر تفخيم له أو من الله عز وجل ولا تعملون انتم جميعا من عمل أى عمل إلا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصى عليكم إذ تفيضون فيه تخوضون فيه تخوضون من افاض فى الأمر إذا اندفع فيه وما يعزب عن ربك وما يبعد وما يغيب وبكسر الزاى على حيث كان من مثقال ذرة وزن نملة صغيرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر رفعهما حمزة على الابتداء والخبر إلا فى كتاب مبين يعنى اللوح المحفوظ ونصبهما غيره على نفى الجنس وقدمت الأرض على السماء هنا وفى سبأ قدمت السموات لأن العطف بالواو وحكمه حكم التثنية ألا إن اولياء الله هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة أو هم الذين تولى الله هداهم بالبرهان الذى آتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة لخلقه أو هم المتحابون فى الله على غير أرحام نبيهم ولا أموال يتعاطونها أو هم المؤمنون المتقون بدليل الآية الثانية لا خوف عليهم إذا خاف الناس ولا هم يحزنون إذا حزن الناس الذين آمنوا منصوب باضمار أعنى أو لأنه صفة لأولياء أو مرفوع على أنه

خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والمعاصى لهم البشرى فى الحياة الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين فى غير موضع من كتابه وعن النبى صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزاء من النبوة وهذا لأن مدة الوحى ثلاث وعشرون سنة وكان فى ستة

ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم (65) ألا إن لله من في السماوات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون (66) هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون (67) قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون (68)

يونس 64 - 68

أشهر منها يؤمر فى النوم بالإنذار وستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءا أو هى محبة الناس له والذكر الحسن أو لهم البشرى عند النزع بأن يرى مكانه فى الجنة وفى الآخرة هى الجنة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده ذلك إشارة إلى كونهم مبشرين فى الدارين هو الفوز العظيم وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق أبلج وتسكت ولا يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وإبطال امرك إن العزة استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل مالى لا أحزن فقيل إن العزة لله إن الغلبة والقهر فى ملكة الله جميعا لا يملك أحد شيئا منهما لاهم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إنا لننصر رسلنا أو به يتعزز كل عزيز فهو يعزك ودينك واهلك والوقف لازم على قولهم لئلا يصير إن العزة مقول الكفار جيمعا حال هو السميع لما يقولون العليم بما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك ألا إن لله من فى السموات و من فى الأرض يعنى العقلاء وهم الملائكة والثقلان وخصهم ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا له وفى مملكته ولا

يصلح أحد منهم للربوبية و لا أن يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له ندا وشريكا وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ما نافية اي وما يتبعون حقيقة الشركاء و إن كانوا يسمونها شركاء لأن شركة الله فى الربوبية محال إن يتبعون إلا الظن إلا ظنهم أنهم شركاء الله و إن هم إلا يخرصون يحزرون ويقدرون أن تكون شركاء تقديرا باطلا أو استفهامية أى و أى شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الأول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء فاقتصر على أحدهما للدلالة والمحذوف مفعول يدعون أو موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أى وله شركاؤهم ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده بقوله هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه أى جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا فيه من تعب التردد فى النهار والنهار مبصرا مضيئا لتبصروا فيه مطالب أرزقاكم ومكاسبكم إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع مذكر معتبر قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجيب من كلمتهم الحمقاء هو الغنى علة لنفى الولد لأنه إنما يطلب الولد ضعيف ليتقوى به أو فقير ليستعين به أو ذليل ليتشرف

قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون (69) متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون (70) واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون (71) فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين (72)

يونس 68 - 72

به الكل امارة الحاجة فمن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منفيا و لأن الولد بعض الوالد فيستدعى أن يكون مركبا وكل مركب ممكن وكل ممكن يحتاج إلى الغير فكان حادثا فاستحال القديم أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض ملكا ولا تجتمع البنوة معه أن

عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله أن عندكم على أن يجعل القول مكانا لسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم موز كأنه قيل أن عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال اتقولون على الله مالا تعلمون قل أن الذين يفترون على الله الكذب باضافة الولد إليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع فى الدنيا أى افتراؤهم هذا منفعة قليلة هى الدنيا حيث يقيمون به رياستهم فى الكفر ومناصبة النبى صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد المخلد بما كانوا يكفرون بكفرهم واتل عليهم واقرأ عليهم نبأ نوح خبره مع قومه والوقف عليه لازم إذ لو وصل لصار إذ ظرفا لقوله واتل بل التقدير واذكر إذ قال لقومه يا قوم أن كان كبر عليكم عظم وثقل كقوله وانها لكبيرة إلا على الخاشعين مقامى مكانى يعنى نفسه كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان أى خاف ربه أو قيامى ومكثى بين أظهركم ألف سنة إلا خمسين عاما أو مقامى وتذكيرى بآيات الله لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا فعلى الله توكلت أى فوضت امرى إليه فاجمعوا أمركم من أجمع الامر إذا نواه وعزم عليه وشركاءكم الواو بمعنى مع أى فاجمعوا أمركم مع شركائكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة أى غما عليكم وهما والغم والغمة كالكرب والكربة أو ملتبسا فى خفية والغمة السترة من غمه إذا ستره ومنه الحديث لاغمة فى فرائض الله أى لا تستر و لكن يجاهر بها والمعنى ولا يكن قصدكم إلى اهلاكى مستورا عليكم ولكم مكشوفا مشهور اتجاهروننى به ثم اقضوا إلى ذلك الأمر الذى تريدون بى أى أدوا إلى ما هو حق عندكم من هلاكى كما يقضى الرجل غريمه أو اصنعوا ما امكنكم ولا تنظرون ولا تمهلونى فإن توليتم فإن أعرضتم عن تذكيرى

فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين (73) ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين (74) ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين (75) فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين

(76) قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون (77)

يونس 72 - 77
ونصحى فما سألتكم من أجر فأوجب التولى أو فما سألتكم من أجر ففاتنى ذلك بتوليكم أن أجرى الا على الله وهو الثواب الذى بثيبنى به فى الآخرة أى ما نصحتكم إلا لله لا لغرض من اغراض الدنيا وفيه دلالة منع اخذ الأجر على تعليم القرآن والعلم الدينى وأمرت أن أكون من المسلمين من المستسلمين لأوامره ونواهيه أن أجرى بالفتح مدنى وشامى و أبو عمرو وحفص فكذبوه فداموا على تكذيبه فنجيناه من الغرق ومن معه فى الفلك وجعنالهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق فى السفينة وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين هو تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مثله وتسلية له ثم بعثنا من بعده من بعد نوح عليه السلام رسلا إلى قومهم أى هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا فجاءوهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فاصروا على الكفر بعد المجيء بما كذبوا به من قبل من قبل مجيئهم يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بن حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث اليهم أحد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع نختم على قلوب المعتدين المجاوزين الحد فى التكذيب ثم بعثنا من بعدهم من بعد الرسل موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وأعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن قبولها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترءوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا أنه هو الحق وانه من عند الله قالوا لحبهم الشهوات إن هذا لسحر مبين وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم إنكار ومقولهم محذوف أى هذا سحر ثم استأنف إنكارا آخر

قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين (78) وقال فرعون ائتوني بكل

ساحر عليم (79) فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون (80) فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين (81) ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون (82) فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين (83) وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين (84)

يونس 77 - 84
فقال أسحر هذا خبرومبتدأ ولا يفلح الساحرون أى لا يظفر قالوا أجئتنا لتلفتنا لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الأصنام أو عبادة فرعون وتكون لكما الكبرياء أى الملك لأن الملوك موصوفون بالكبرياء والعظمة والعلو فى الأرض ارض مصر وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به يكون حماد ويحيى وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم سحار حمزة وعلى فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر ما موصلوة واقعة مبتدأ وجئتم به صلها والسحر خبر أى الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله آلسحر بعد وقف أبو عمروعلى الاستفهام فعلى هذه القراءة استفهامية أى أى شيء جئتم به أهو السحر أن الله سيبطله يظهر بطلانه أن الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته بل يدمره ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه أو يظهر الإسلام بعداته بالنصرة ولو كره المجرمون ذلك فما امن لموسى فى أول امره إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون إلا طائفة من ذرارى بنى إسرائيل كأنه قيل إلااولاد من اولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف أو الضمير فى قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنة وماشطته والضمير فى وملائهم يرجع إلى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أولأنه ذو أصحاب يأتمرون له أو إلى الذرية أى على خوف من فرعون وخوف من أشراف بنى إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم دليله قوله أن يفتنهم يريد أن يعذبهم فرعون وان فرعون لعال فى الأرض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين فى الظلم والفساد وفى

الكبر والعتو بادعائه الربوبية وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فإليه أسندوا أمركم فى العصمة من

فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين (85) ونجنا برحمتك من القوم الكافرين (86) وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين (87) وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم (88)

يونس 84 - 88
فرعون إن كنتم مسلمين شرط فى التوكل الإسلام وهو أن يسملوا نفوسهم لله اى يجعلو هاله سالمة خالصة لاحظ للشيطان فيها لأن التوكل لا يكون مع التخليط فقالوا على الله توكلنا إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين لاجرم أن الله قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء فى أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه فعليه برفض التخليط إلى الاخلاص ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع فتنة لهم أى عذاب يعذبوننا أو يفتنوننا عن ديننا أى يضلوننا والفاتن المضل عن الحق ونجنا برحمتك من القوم الكافرين أي من تعذيبهم وتسخيرهم وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا تبوأ المكان اتخذه مباءه كقوله توطنه إذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه واجعلوا بيوتكم قبلة أى مساجد متوجهة نحو القبلة وهى الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا فى أول الأمر مأمورين بأن يصلوا فى بيوتهم فى خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك فى أول الإسلام بمكة وأقميوا الصلاة فى بيوتكم حتى تأمنوا وبشر المؤمنين يا موسى ثنى الخطاب اولا ثم جمع ثم وحد آخرا لأن اختيار مواضع العبادة مما يفوض إلى الأنبياء ثم تجمع لأن اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على الجمهور وخص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيما لها وللمبشر بها وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملآه زينة هو ما

يتزين به من لباس أو حلى أو فرش أو أثاث أو غير ذلك وأموالا أى نقدا ونعما وضيعة فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ليضلوا الناس عن طاعتك كوفى ولا وقف على الدنيا لأن قوله ليضلوا متعلق بآتيت وربنا تكرار الأول للالحاح فى التضرع قال الشيخ أبو منصور رحمه الله إذا علم منهم أنهم يضلون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليضلوا عن سبيله وهو كقوله إنما نملي لهم ليزدادوا إثما فتكون الآية حجة على المعتزلة ربنا اطمس على أموالهم أى أهلكها وأذهب آثاراها لأنهم يستعينون بنعمتك على معصيتك والطمس المحو والهلاك قيل صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيئآتها منقوشة وقيل وسائر أموالهم كذلك

قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون (89) وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين (90) آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين (91)

يونس 88 - 91
واشدد على قلوبهم اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية فلا يؤمنوا جواب الدعاء الذى هو أشدد حتى يروا العذاب الأليم إلى أن يروا العذاب الأليم وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا إلى الغرق وكان ذلك إيمان يأس فلم يقبل وانما دعا عليهم بهذا لما أيس من إيمانهم وعلم بالوحى أنهم لا يؤمنون فاما قبل أن يعلم بانهم لا يؤمنون فلا يسع له أن يدعو بهذا الدعاء لأنه أرسل اليهم ليدعوهم إلى الإيمان وهو يدل على أن الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرا قال قد أجيبت دعوتكما قيل كان موسى عليه السلام يدعوا وهارون يؤمن فثتب أن التأمين دعاء فكان اخفاؤه أولى والمعنى أن دعائكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكم فى وقته فاستيقما فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والتبليغ ولا تتبعاه سبيل الذين لا يعلمون ولا تتبعان طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الإجابة وحكمة الامهال فقد كان بين الدعاء والاجابة أربعون سنة ولا تتبعان بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنيه شامى وخطأه بعضهم

لأن النون الخفيفة واجبة السكون وقيل هو اخبار عما يكونان عليه
وليس بنهى أو هو حال وتقديره فاستقيما غير متبعين وجاوزنا ببنى
إسرائيل البحر هو دليل لنا على خلق الأفعال فأتبعهم فرعون وجنوده
فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته بغيا تطاولا وعدوا ظلما وانتصبا على
الحال أو على المفعول له حتى إذا أدركه الغرق لا وقف عليه لأن قال
آمنت جواب إذا أنه حمزة وعلى على الاستئناف بدل من آمنت
وبالفتح غيرهما على حذف الباء التى هى صلة الإيمان لا إله إلا الذى
آمنت به بنو إسرائيل و أنا من المسلمين وفيه دليل على أن الإيمان
والاسلام واحد حيث قال آمنت ثم قال و أنا من المسلمين كرر
فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات فى ثلاث عبارات حرصا على
القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وكانت المرة الواحدة تكفى
فى حالة الاختيار آلآن أتؤمن الساعة فى وقت الاضطرار حين أدركك
الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق والعامل
فيه أتؤمن قد عصيت قبل وكنت من المفسدين من الضالين المضلين
عن الإيمان روى أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا ما قول الأمير فى
عبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى
السيادة دونه فكتب فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء
العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق

فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن
آياتنا لغافلون (92) ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم
من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (93) فإن كنت في شك مما أنزلنا
إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك
فلا تكونن من الممترين (94)

يونس 92 - 94
فى البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه
فاليوم ننجيك نلقيك بنجوة من الأرض فرماه الماء إلى الساحل كأنه
ثور ببدنك فى موضع الحال أى فى الحال التى لا روح فيك و إنما أنت
بدن أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير أو عريانا
لست إلا بدنا من غير لباس أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف

بها وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه بأبدانك وهو مثل قولهم هو باجرامه أى ببدنك كله وافيا بأجزائه أو بدروعك لأنه ظاهر بينها لتكون لمن خلفك آية لمن ورءاك من الناس علامة وهم بنوا إسرائيل وكان فى أنفسهم أن فرعون أعظم شأنا من أن يغرق وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله عز وجل على الساحل حتى عاينوه وقيل لمن يأتى بعدك من القرون ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته وان ما كان يدعيه من الربوبية محال و أنه مع ما كان عليه من عظيم الملك آل امره إلى ما ترون لعصاينه ربه فما الظن بغيره و إن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ولقد بوأنا بنى إسرائيل مبوا صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا فى دينهم حتى جاءهم العلم أى التوراة وهم اختلفوا فى تأويلها كما اختلف أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى تأويل الآيات من القرآن أو المراد العلم بمحمد واختلاف بنى اسرائل وهم أهل الكتاب اختلافهم فى صفته أنه هو أم ليس هو بعد ما جاءهم العلم أنه هو أن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يميز المحق من المبطل ويجزى كلا جزءاه فإن كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لما قدم ذكر بنى إسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب فى التوارة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته صلى الله عليه وسلم ويبالغ فى ذلك فقال فإن وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته أو بمباحثة العلماء فسل علماء أهل الكتاب فإنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الأخبار بالرسوخ فى العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك أى ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة أن ما أتاك

ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين (95) إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون (96) ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم (97) فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا

ومتعناهم إلى حين (98)

يونس 94 - 98
هو الحق الذى لا مجال فيه للشك فلا تكونن من الممترين الشاكين ولا وقف عليه للعطف ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين أى فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتقاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله أو هو على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ انزلت إليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق أو خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد امته أى و إن كنتم فى شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا أو الخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب إذا عز أخوك فهن أو أن للنفى أى فما كنت فى شك فاسأل أى ولا نأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعاينة إحياء الموتى فإن قلت إنما يجئ إن للنفى إذا كان بعده إلا كقوله أن الكافرون إلا فى غرور قلت ذاك غير لازم ألا ترى إلى قوله أن أمسكهما من أحد من بعده فإن للنفى وليس بعده إلا أن الذين حقت عليهم كلمت ربك ثبت عليهم قول الله الذى كتبه فى اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفارا أو قوله لأملان جهنم الآية ولا وقف على لا يؤمنون لأن ولو جاءتهم كل آية تتعلق بما قبلها حتى يروا العذاب الأليم أى عند اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم أو عند القيامة ولا يقبل منهم فلولا كانت قرية ءامنت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التى أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الإيمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما آخر فرعون إلى أن اخذ بحتفه فنفعها إيمانها بأن تقبل الله إيمانها منها بوقوعه فى وقت الاختيار إلا قوم يونس استثناء منقطع أى ولكن قوم يونس أو متصل والجملة فى معنى النفى كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين إلى آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنه مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول عذاب فلبسوا المسوح كلهم وعجوا أربعين ليلة وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان والدواب واولادها فحن بعضهم إلى بعض

وأظهروا الإيمان والتوبة فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى إن الرجل كان يقلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا لما نزل بهم العذاب إلى شيخ من بقية علمائهم فقال له قولوا يا حى حين لا حى ويا حى محيى الموتى ويا حى لا إله إلا أنت

ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (99) وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون (100) قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (101) فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين (102) ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين (103)

يونس 99 - 103
فقالوا فكشف الله عنهم وعن الفضيل قدس الله روحه قالوا اللهم أن ذنوبنا قد عظمت وجلت و أنت اعظم منها وأجل افعل بناما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم على وجه الإحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الإيمان مظبقين عليه لا يختلفون فيه أخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته أنه لو شاء لآمن من فى الأرض كلهم ولكنه شاء أن يؤمن به من علم منه اختيار الإيمان به وشاء الكفر ممن علم أنه يختار الكفر ولا يؤمن به وقول المعتزلة المراد بالمشيئة مشيئة القسر والالجاء أى لو خلق فيهم الإيمان جبرا لآمنوا لكن قد شاء أن يؤمنوا اختيار لهم فلم يؤمنوا دليله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين أى ليس اليك مشيئة الاكراه والجبر فى الإيمان إنما ذلك إلى فاسد لأن الإيمان فعل العبد وفعله ما يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار وتأويله عندنا أن الله تعالى لطفا لو اعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم أنهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق والاستفهام فى أفأنت بمعنى النفى أى لا تملك أنت يا محمد أن تكرههم على الإيمان لأنه يكون بالتصديق والاقدار ولا يمكن الاكراه على التصديق وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله بمشيئته أو بقضائه أو بتوفيقه وتسهيله أو بعلمه

ويجعل الرجس أى العذاب أو السخط أو الشيطان أى ويسلط الشيطان على الذين لا يعقلون لا ينتفعون بعقلوهم ونجعل حماد ويحيى قل انظروا نظر استدلال واعتبار ماذا فى السموات و الأرض من الآيات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار وما تغنى الآيات ما نافية والنذر والرسل المنذرون أو الانذارا عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم يعنى وقائع الله فيهم كما يقال أيام العرب لوقائعها قل فانتظروا إنى معكم من المنظرين ثم ننجى رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الأمم ثم ننجى رسلنا على حكاية الأحوال الماضية والذين آمنوا من آمن معهم كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين أى مثل ذلك الانجاء ننجى المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض أى وحق ذلك علينا حقا ننجى

قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين (104) وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين (105) ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين (106) وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم (107) قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل (108) واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (109)

يونس 104 - 107
بالتخفيف على وحفص قل يا أيها الناس يا أهل مكة أن كنتم فى شك من دينى وصحته وسداده فهذا دينى فاستمعوا وصفه ثم وصف دينه فقال فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله أى الأصنام ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم يميتكم وصفه بالتوفى ليريهم أنه الحقيق بأن يخاف ويتقى ويعبد دون مالايقدر على شيء وامرت أن اكون من المؤمنين أى بان اكون يعنى أن الله أمرنى بذلك بماركب فى من العقل وبما

أوحى إلى فى كتابه و أن أقم وجهك للدين أى أوحى إلى أن أقم
ليشاكل قوله أمرت أى استقم مقبلا بوجهك على ماأمرك الله أو
استقم إليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا جنيفا حال من الدين أو الوجه
ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما ينفعك ان دعوته ولا
يضرك ان خذلته فإن فعلت فإن دعوت من دون الله مالا ينفعك ولا
يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك إذا من الظالمين إذا جزاء
للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان
وجعل من الظالمين لأنه لا ظلم أعظم من الشرك وان يمسسك الله
يصبك بضر مرض فلا كاشف له لذلك الضر إلا هو إلا الله و أن يردك
بخير عافية فلا راد لفضله فلا راد لمراده يصيب به بالخير من يشاء
من عباده قطع بهذه الآية على بعاده طريق الرغبة والرهبة إلا إليه
والاعتماد إلا عليه وهو الغفور المكفر بالبلاء الرحيم المعافى بالعطاء
اتبع النهى عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر إن الله هو
الضار النافع الذى أن أصابك بضر لم يقدر على كشفه إلا هو وحده
دون كل أحد فكيف بالجماد الذى لا شعور به وكذا أن أرادك بخير لم
يرد احدما يريده بك من الفضل والإحسان فكيف بالأوثان وهو الحقيق
إذا بأن توجه إليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله إن أرادني الله بضر
هل من كاشفات ضره أرادني ؟ ؟ برحمة هل هن ممسكات رحمته
وانما ذكر المس في أحدهما والارادة فى الآخر كأنه أراد أن يذكر
الامرين الإرادة والإصابة فى كل واحد من الضر و أنه لاراد لما يريد
منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو
الإصابة فى أحدهما والارادة فى الآخر ليدل

الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (1) ألا تعبدوا
إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير (2) وأن استغفروا ربكم ثم توبوا
إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله
وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير (3)

يونس 108 - 109
بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الإصابة بالخير فى قوله يصيب
به من يشاء من عباده قل يا أيها الناس يا أهل مكة قد جاءكم الحق
القرآن أو الرسول من ربكم فمن اهتدى اختار الهدى واتبع الحق

فانما يهتدى لنفسه فما نفع باختياره إلا نفسه ومن ضل فانما يضل
عليها ومن آثر الضلال فما ضر إلا نفسه ودل اللام وعلى على معنى
النفع والضر وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول إلى أمركم إنما أنا
بشير ونذير واتبع ما يوحى إليك واصبر على تكذيبهم وايذائهم حتى
يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة وهو خير الحاكمين لأنه المطلع
على السرائر فلا يحتاج إلى بينة وشهود
سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
هود 1 - 3
الر كتاب أى هذا كتاب فهو خبر مبتدأ محذوف أحكمت آياته صفه له
أى نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء
المحكم ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد
والاحكام والمواعظ والقصص أو جعلت فصولا سورة سورة و آية آية
أو فرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة أو فصل فيها ما يحتاج إليه العابد
أى بين ولخص وليس معنى ثم التراخى فى الوقت ولكن فى الحال
من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة
لحكمت وفصلت أى من عنده أحكامها وتفصيلها ألا تعبدوا إلا الله
مفعول له أى لئلا تعبدوا أو أن مفسرة لأن فى تفصيل الآيات معنى
القوم كأنه قيل قال لاتعبدوا إلا الله أو أمركم ألا تعبدوا إلا الله إننى
لكم منه نذير وبشير أى من الله وان استغفروا ربكم أى أمركم
بالتوحيد والاستغفار ثم توبوا إليه أى استغفروه من الشرك ثم ارجعوا
اليه بالطاعة يمتعكم متاعا حسنا يطول نفعكم فى الدنيا بمنافع
حسنة مرضية من

إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير (4) ألا إنهم يثنون
صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما
يعلنون إنه عليم بذات الصدور (5) وما من دابة في الأرض إلا على
الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين (6) وهو
الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء
ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت
ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين (7)

هود 3 - 7
عيشة واسعة ونعمة متتابعة إلى أجل مسمى إلى أن يتوفاكم ويؤت كل ذى فضل فضله ويعط فى الآخرة كل من كان له فضل فى العلم وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه شيئا و إن تولوا وان تتولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير هو يوم القيامة إلى الله مرجعكم رجوعكم وهو على كل شيء قدير فكان قادرا على اعادتكم ألا أنهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرون عنه لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف نثى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه ليطلبوا الخفاء من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنون على ازوراراهم ألا حين يستغشون ثيابهم يتغطون بها أى يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم يعلم ما يسرن وما يعلنون أى لا تفاوت فى علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستعشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عند قيل نزلت فى المنافقين أنه عليم بذات الصدور بما فيها وما من دابة فى الارض إلا على الله رزقها تفضلا لا وجوبا ويعلم مستقرها مكانه من الأرض ومسكنه ومستودعها حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة كل فى كتاب مبين كل واحد من الدواب رزقها ومستقرها ومستودعها فى اللوح يعنى ذكرها مكتوب فيه مبين وهو الذى خلق السموات و الأرض وما بينهما فى ستة أيام من الاحد إلى الجمعه تعليما للتأنى وكان عرشه على الماء أى فوقه يعنى ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض إلا الماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والأرض قيل بدأه بخلق ياقوتة خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق ريحا فأقر الماء على متنه ثم وضع عرشه على الماء وفى وقوف العرش على الماء أعظم اعتبار لاهل الأفكار ليبلوكم أى خلق السموات والأرض وما بينهما للممتحن فيهما ولم يخلق هذه الأشياء لأنفسها أيكم أحسن عملا أكثر شكرا وعنه عليه السلام أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة

ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون (8)

ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور (9)
ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه
لفرح فخور (10) إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم
مغفرة وأجر كبير (11)

هود 7 - 11
الله فمن شكر واطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم أى ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لاحوالكم كيف تعملون ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين أشار بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث فإذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره ساحر حمزة وعلى يريد دون الرسول والساحر كاذب مبطل ولئن أخرنا عنهم العذاب عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر إلى أمة إلى جماعة من الاوقات معدودة معلومة أو قلائل والمعنى إلى حين معلوم ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء ألا يوم يأتيهم العذاب ليس العذاب مصروفا عنهم ويوم منصوب بمصروفا أى ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم وحاق بهم وأحاط بهم ما كانوا به يستهزءون العذاب الذىكانوا به يستعجلون و إنما وضع يستهزءون موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان على وجه الاستهزاء ولئن أذقنا الانسان هو للجنس منا رحمة نعمة من صحة و أمن وجدة واللام فى لئن لتوطئة القسم ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم إنه ليئوس شديد اليأس من أن يعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب فى نعمة الله نساءله ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذى ناله ليقولن ذهب السيئات عنى أي المصائب التى ساءتنى أنه لفرح أشر بطر فخور على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر إلا الذين صبروا فى المحنة والبلاء وعملوا الصالحات وشكروا فى النعمة والرخاء أولئك لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير يعنى الجنة كانوا يقترحون عليه آيات تعنت لا استرشادا لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية فى رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا

فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل (12) أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين (13) فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون (14)

هود 12 - 14

أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلق اليهم مالا يقبلونه ويضحكون منه فهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك أى لعلك تترك أن تلقيه اليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم له وتهوانهم به وضائق به صدرك بأن تتلوه عليه ولم يقل ضيق ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأنه عليه السلام كان أفسح الناس صدرا و لأنه أشكل بتارك أن يقولوا مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنزا أو جاء معه ملك هلا أنزل عليه ماافترضنا من الكنز لننفقه والملائكة لنصدقة ولم أنزل عليه مالا نريده ولا نقترحه إنما أنت نذير أى ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحى اليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك أن ردوا أو تهاونوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل امرك إليه وعليك بتبليغ الوحى بقلب فيسح وصدر منشرح غير ملتفت إلى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم أم يقولون أم منقطعة افتراه الضمير لما يوحى اليك قل فأتوا بعشر سور تحداهم أولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخابر فى الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما اكتب فإذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله فى الحسن والجزالة ومعنى مثله أمثاله ذهابا إلى مماثله كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من نفسك وليس من عند الله أرخى معهم العنان وقال هبوا إنى اختلقته من عند نفسى فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى وادعوا من استطعتم من دون الله

إلى المعاونة على المعارضة إن كنتم صادقين أنه مفترى فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله و أن لا إله إلا هو أى أنزل ملتبسا بمالا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه واعملوا عند ذلك أن لا إله إلا الله وحده و أن توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم و إنما جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل لأن الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يحدثونهم أو لأن الخطاب

من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون (15) أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون (16) أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (17) ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين (18)

هود 14 - 18

للمشركين والضمير فى فإن لم يستجيبوا لمن استطعتم أى فإن لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا أنما أنزل بعلم الله أى باذنه أو بأمره فهل انتم مسلمون متبعون للاسلام بعد هذه الحجة القاطعة ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذى انتم مسلمون مخلصون من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون نوصل اليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس فى الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة الرزق وهم الكفار أو المنافقون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وحبط فى الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم أى لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد وفى ما أرادوا وباطل ما كانوا يعملون أى كان عملهم فى نفسه باطلا لأنه لم يعلم لغرض صحيح والعلم الباطل لا ثواب له أفمن كان على بينة من ربه

أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه أى لا يعقبونهم فى المنزلة ولا يقاربونهم يعنى أن بين الفريقين تباينا بينا وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه أى على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله أو من االقران فقد مر ذكره آنفا ومن قبله و من قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة أى ويتلو ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام اماما كتابا مؤتما به فى الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم وهما حالان اولئك أى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به بالقرآن من الأحزاب يعنى أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده مصيره ومورده فلاتك فى مرية شك منه من القرآن أو من الموعد إنه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذابا أولئك يعرضون على ربهم يحبسون فى الموقف

الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون (19) أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون (20) أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (21) لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون (22) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (23) مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون (24)

هود 18 - 24

وتعرض أعمالهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ويشهد عليهم الأشهاد من الملائكة والنبيين بأنهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولدا وشريكا ألا لعنة الله على الظالمين الكاذبين على ربهم والأشهاد جمع شاهد كأصحاب وصاحب أو شهيد كشريف وأشراف الذين يصدون عن سبيل الله يصرفون الناس عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن يعرجوا بالارتداد

وهم بالآخرة هم كافرون هم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة
واختصاصهم به أولئك لم يكونوا أى ما كانوا معجزين فى الارض
بمعجزين الله فى الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم وما كان لهم من
دون الله من اولياء من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه
ولكنه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم وهو من كلام
الأشهاد يضاعف لهم العذاب لأنهم أضلوا الناس عن دين الله يضعف
مكى وشامى ما كانوا يستطيعون السمع أى استماع الحق وما كانوا
يبصرون الحق أولئك الذين خسروا أنفسهم حيث اشتروا عبادة الآلهة
بعبادة الله وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا
يفترون من الآلهة وشفاعتها لا جرم أنهم فى الآخرة هم الاخسرون
بالصد والصدود وفى لا جرم أقوال أحدها أن لا رد لكلام سابق أى
ليس الامر كما زعموا ومعنى جرم كسب وفاعله مضمر وانهم فى
الآخرة فى محل النصب والتقدير كسب قولهم خسرانهم فى الآخرة
وثانيها أن لا جرم كلمتان ركبتا فصار معناهما حقا و أن فى موضع رفع
بأنه فاعل لحق أى حق خسرانهم وثالثها أن معناه لا محالة إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم واطمأنوا إليه وانقطعوا إلى
عبادته بالخشوع والتواضع من الخبث وهى الأرض المطمئنة أولئك
أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالأعمى والأصم
والبصير والسميع شبه فريق الكافرين بالأعمى

ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين (25) أن لا تعبدوا إلا
الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم (26) فقال الملأ الذين كفروا
من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا
بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين (27)
قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده
فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون (28)

هود 24 - 28
والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع هل يستويان يعنى
الفريقين مثلا تشبيها وهو نصب على التمييز أفلا تذكرون فتنفعون
بضرب المثل ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إنى لكم نذير مبين أى بانى
والمعنى أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله إنى لكم نذير مبين

بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح فى كان والمعنى على الكسر وبكسر الألف شامى ونافع وعاصم وحمزة على إرادة القول أن لا تعبدوا إلا الله أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم وصف اليوم بأليم من الإسناد المجازى لوقوع الأمل فيه فقال الملأ الذين كفروا من قومه يريد الاشراف لأنهم يملئون القلوب هيبة والمجالس أبهة ولانهم ملئوا بالأحلام والآراء الصائبة ما نراك إلا بشرا مثلنا ارادوا أنه كان ينبغى أن يكون ملكا أو ملكا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا أخساؤنا جمع الأرذل بادى وبالهمزة أبو عمرو الرأى وبغير همز أبو عمرو أى اتبعوك ظاهر الرأي أو أول الرأي من بدا يبدو إذا ظهر أو بدأ يبدأ إذا فعل الشيء أولا وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أول رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف إليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر ولو تفكروا ما اتبعوك و إنما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم فى الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الأشراف عندهم من له جاه وما كما ترى اكثر المتسمين بالإسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهمم وإهانتهم ولقد زل عنهم أن التقدم فى الدنيا لا يقرب أحدا من الله و إنما يبعده ولا يرفعه بل يضعه وما نرى لكم علينا من فضل فى مال ورأى عنوا نوحا وأتباعه بل نظنكم كاذبين اي نوحا فى الدعوة ومتبعيه فى الإجابة والتصديق يعنى تواطأتم على الدعوة والإجابة تسبيبا للرياسة قال يا قوم أرأيتم أخبروني إن كنت على بينة برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواى وآتانى رحمة من عنده يعني النبوة فعميت عليكم اي خفيت فعميت حمزة وعلى وحفص أى أخفيت أى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمى على القوم دليلهم فى المفازة بقوا بغير هاد وحقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى

ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون (29) ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون (30) ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين (31) قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا

إن كنت من الصادقين (32) قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين (33)

هود 28 - 33
لا يهتدى ولا يهدى غيره أنلز مكموها أى الرحمة وانتم لها كارهون لا تريدونها والواو دخلته هنا تتمة للميم وعن أبى عمرو إسكان الميم ووجهة أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا وهو لحن لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا فى ضرورة الشعر ويا قوم لا أسئلكم عليه على تبليغ الرسالة لأنه مدلول قوله إنى لكم نذير مالا أجرا يثقل عليكم إن أديتم أو على إن ابيتم إن أجرى مدنى وشامى و أبو عمرو وحفص إلا على الله و ما أنا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سالوا طردهم ليؤمنوا به أنفة من المجالسة معهم إنهم ملاقوا ربهم فيشكوننى إليه إن طردتهم ولكنى أراكم قوما تجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل أو تجهلون لقاء ربكم أو أنهم خير منكم ويا قوم من يصرني من الله من يمنعنى من انتقامه إن طردتم أفلا تذكرون تتعظون ولا أقول لكم عندى خزائن الله فادعى فضلا عليكم بالغنى حتى تجحدوا فضلى بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا أعلم الغيب حتى أطلع على ما في نفوس أتباعى وضمائر قلوبهم وهو معطوف على عندى خزائن أى لا أقول عندى خزائن الله ولا اقول أنا اعلم الغيب ولا أقول إني ملك حتى تقولوا لى ما أنت إلا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدرى أعينكم ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فى الدنيا و الآخرة لهوانه عليه مساعدة لكم ونزولا على هواكم الله أعلم بما فى انفسهم من صدق الاعتقاد و إنما على قبول ظاهر إقرارهم إذ لا أطلع على خفى أسرارهم إنى إذا لمن الظالمين إن قلت شيا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه إذا عباه وأصله تزترى فابدلت التاء دالا قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين فى وعدك قال إنما يأتيكم به الله إن شاء أى ليس الإتيان بالعذاب إلى و إنما هو إلى من كفرتم به وما أنتم بمعجزين أى لم تقدروا

ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم

هو ربكم وإليه ترجعون (34) أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون (35) وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون (36) واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون (37) ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون (38)

هود 34 - 38

على الهرب منه ولا ينفعكم نصحى هو إعلام موضع الغى ليتقى والرشد ليقتفى ولكنى إنى إذا نصحى مدنى و أبو عمرو إن أردت أن انصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم أى يضلكم وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثانى مقدما فى الحكم لما عرف تقديره إن كان الله يريد أن يغويكم لا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم وهو دليل بين لنا فى إرادة المعاصى هو ربكم فيتصرف فيكم على قضية إرادته و إليه ترجعون فيجازيكم على أعمالكم أم يقولون افتراه بل أيقولون افتراه قل إن افتريته فعلى إجرامى أى إن صح إنى افتريته فعلى عقوبة إجرامى أى افترائى يقا أجرم الرجل إذا أذنب و أنا برئ أى ولم يثبت ذلك و أنا برئ منه ومعنى مما تجرمون من إجرامكم فى إسناد الافتراء إلى فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن إقناط من إيمانهم وانه غير متوقع وفيه دليل على أن للايمان حكم التجدد كأنه قال إن الذى آمن يؤمن فى حادث الوقت وعلى ذلك تخرج الزيادة التى ذكرت فى الإيمان بالقرآن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فلا تحزن حزن بائس مستكين والابتآس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك فقد حان وقت الانتقام من اعدائك واصنع الفلك بأعيننا وهو فى موضع الحال أى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن لله أعينا تكلؤه من أن يزيغ فى صنعته عن الصواب ووحينا وإنا نوحى اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضى الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطير ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ولا تدعنى فى شان قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك إنهم مغرقون محكوم عليهم بالإغراق وقد قضى به وجف القلم فلا سبيل إلى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه من

عمله السفينة وكان يعملها فى برية فى أبعد موضع من الماء فكانوا يتضاحكون منه ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم عند رؤية الهلال كما تسخرون منا عند رؤية الفلك

فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم (39)
حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل (40)
وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم (41)

هود 39 - 41
روى أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج فى سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع أو الفا ومائتى ذراع وعرضها خمسون ذراعا أو ستمائة ذراع وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وجعل لها ثلاثة بطون فحمل فى البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الاوسط الدواب والانعام وركب نوح ومن معه فى البطن الاعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله حاجزا بين الرجال والنساء فسوف تعلمون من يأيته من فى محل نصب يتعلمون أى فسوف تعلمون الذى يأتيه عذاب يخزيه ويعنى به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه وينزل عليه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة حتى هى التى يبتدا بعدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهى غاية لقوله ويصنع الفلك أى وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد وما بينهما من الكلام حال من يصنع أى يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه وجواب كلما سخروا وقال استئناف على تقدير سؤال سائل أو قال جواب وسخروا بدل من مر أو صفة لملأ إذا جاء أمرنا عذابنا وفار التنور هو كناية عن اشتداد الأمر وصعوبته وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز وكان من حجر لحواء فصار إلى نوح عليه السلام وقيل التنور وجه الأرض قلنا احمل فيها فى السفينة من كل زوجين اثنين تفسيره فى سورة ا4لمؤمنين واهلك إلا من سبق عليه القول عطف على اثنين وكذا ومن آمن أى واحمل اهلك

والمؤمنين من غيرهم واستثنى من أهله من سبق عليه القول أنه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر بتقديره وارادته جل خالق العباد عن أن يقع فى الكون خلاف ما أراد وما آمن معه إلا قليل قال عليه السلام كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجالا ونساء وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها بسم الله متصل باركبوا حالا من الواو أى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت ارسائها اما لأن المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ويجوز أن يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهى مبتدأ وخبر يعنى أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن

وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين (42)

هود 41 - 44
مجراها ومرساها بذكر اسم الله أى بسم الله اجراؤها وارساؤها وكان إذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت و إذا أراد أن ترسوا قال بسم الله فرست مجريها بفتح الميم وكسر الراء من جرى اما مصدر أو وقت حمزة وعلى وحفص وبضم الميم وكسر الراء أبو عمرو والباقون بضم الميم وفتح الراء أن ربى لغفور لمن امن منهم رحيم حيث خلصهم وهى تجرى بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون باسم الله وهى تجرى بهم أى السفينة تجرى وهم فيها فى موج كالجبال يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر وتمرة وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة فى خلاله شبه كل موجة منه بالجبل فى تراكمها وارتفاعها ونادى نوح ابنه كنعان وقيل يام والجمهور على أنه ابنه الصلى وقيل كان ابن امرأته وكان فى معزل عن ابيه وعن السفينة مفعل من عزله عنه إذا نحاه وأبعده أو فى معزل عن دين أبيه يا بنى

بفتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الألف المبدلة من ياء الاضافة من قولكم يا بنيا غيره بكسر الياء اقتصار عليه من ياء الإضافة اركب معنا فى السفينة أى اسلم واركب ولا تكن مع الكافرين قال سآوى ألجأ ألى جبل يعصمنى من الماء يمنعنى من الغرق قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم إلا الراحم وهو الله تعالى أو لا عاصم اليوم من الطوفان إلا من رحم الله أى إلا مكان من رحم الله من المؤمنين وذلك أنه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة أو هو استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله مالهم به من علم إلا اتباع الظن وحال بينهما الموج بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه فكان من المغرقين فصار أو فكان فى علم الله وقيل يا ارض ابلعى ماءك انشفى وتشربى والبلع النشف وياسماء اقلعى امسكى وغيض الماء نقص من غاضه اذا نقصه وهو لازم ومتعد وقضى الأمر وانجز ما وعد الله نوحا من اهلاك قومه واستوت واستقرت السفينة بعد أن طافت الأرض كلها ستة أشهر على الجودى وهو جبل بالموصل وقيل بعدا للقوم الظالمين أى سحقا لقوم نوح

وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين (42) قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين (43) وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين (44)

الذين غرقوا يقال بعد بعداو بعدا إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ولذلك خص بدعاء السوء والنظر فى هذه الآية من اربع جهات من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فنقول إن الله تعالى لما اراد أن يبين معنى أردنا أن نرد ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتد و أن نقطع طوفان السماء فانقطع و أن نغيض الماء النازل من السماء فغيض و أن نقضى أم أمد نوح وهو انجاز ما كما وعدناه من إغراق

قومه فقضى و أن نسوى السفينة على الجودى فاستوت وابقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالأمر الذى لا يتاتى منه لكمال هيبته العصيان وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ فى تكون المقصود تصويرا لاقتداره العظيم و أن السموات و الأرض منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة لارادته فيها تغييرا وتبديلا كانها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته وأحاطوا علما بوجوب الانقياد لأمره والاذعان لحكمه ويحتم بذل المجهود عليهم فى تحصيل مراده ثم بنى على تشبيه هذ نظم الكلام فقال عز وجل وقيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينه المجاز الخطاب للجماد وهو يا ارض ويا سماء ثم قال مخاطبا لهما يا ارض ويا سماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغور الماء فى الأرض البلع الذى هو أعمال الجاذبة فى المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب إلى مقر خفى ثم استعار الماء للغذاء تشبيها له بالغذاء لتقوى الأرض بالماء فى الانبات كتقوى الآكل بالطعام ثم قال ماءك باضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز لإتصال الماء بالأرض كاتصال الملك بالمالك ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذى هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما فى عدم التأنى ثم قال وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا ولم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضى الأمر وسوى السفينة وقال بعدا كما لم يصرح بقائل يا ارض ويا سماء سلوكا فى كل واحد من ذلك لسبيل الكناية و أن تلك الامور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها واحد لا يشارك فى فعله فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره ياء ارض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى ولا أن يكون الغائض والقاضى والمسوى غيره ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيها لسالكى مسلكههم فى تكذيب الرسل ظلما لانفسهم اظهارا لمكان السخط و أن ذلك العذاب الشديد ما كان إلا لظلمهم ومن جهة علم المعانى وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها وذلك أنه اختبر يا دون اخواتها لكونها اكثر استعمالا ولدلاتها على بعد المنادى الذى يستدعيه مقام اظهار العظمة والملكوت وابداء العزة والجبروت وهو تعبيد المنادى والمؤذن بالتهاون به ولم يقل يا ارض لزيادة التهاون إذ الاضافة تستدعى القرب ولم يقل يا ايتها الأرض للاختصار واختير لفظ الأرض والسماء لكونهما أخف وأدور واختير ابلعى على ابتلعى لكونه اخصر وللتجانس بينه وبين اقلعى وقيل اقلعى ولم يقل عن المطر وكذا لم يقل يا

ارض ابلعى ماءك فبلعت ويا سماء أقلعى فأقلعت اختصارا أو اختير غيض على غيض وقيل الماء دون أن يقول ماء الطوفان والأمر ولم يقل أمر

ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين (45) قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين (46)

هود 45 - 46
نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على الجودى أى أقرت على نحو قيل وغيض اعتبارا لبناء الفاعل مع السفينة فى قوله وهى تجري بهم ارادة للمطابقة ثم قيل بعد للقوم ولم يقل ليبعد القوم طلبا للتأكيد مع الاختصار هذا من حيث النظر إلى تركيب الكلم وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل فذلك أنه قدم النداء على الأمر فقيل أيا ارض ابلعى ويا سماء أقعلى ولم يقل ابلعى يا ارض وأقلعى يا سماء جريا على مقتضى الكلام فيمن كان ماموراً حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبه فى نفس المنادى قصدا بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم الأرض على أمر المساء وابتدأ به الطوفان منها ثم أتبع وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتها ثم ذكر ما هو المقصود وهو قوله وقضى الأمر أى أنجز الموعود من إهلاك الكفرة وانجاء نوح ومن معه فى الفلك وعلى هذا فاعتبر ومن جهة الفصاحة المعنوية وهى كما ترى نظم للمعانى لطيف وتأدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشبك الطريق إلى المرتاد ومن جهة الفصاحة اللفظية فألفاظها على ما ترى عربية مستعملة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسلة على الاسلات كل منها كالماء فى السلاسة وكالعسل فى الحلاوة وكالنسيم فى الرقة ومن ثم أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر على الإتيان بمثل هذه الآية ولله در شأن التنزيل لا يتامل العالم آية من اياته إلا أدرك لطائف لاتسع الحصر ولا تظنن الآية مقصورة على المذكور فلعل المتروك اكثر من المسطور ونادى نوح ربه فقال رب نداؤه ربه دعاؤه له وهو

قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده فى تنجية اهله إن ابنى من أهلى أى بعض أهلى لأنه كان ابنه من صلبه أو كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذى لا شك فى انجازه والوفاء به وقد وعدتنى أن تنجى اهلى فما بال ولدى و أنت أحكم الحاكمين أى اعلم الحكام واعدلهم إذ لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل ورب غريق فى الجهل والجور من متقلدى الحكومة فى زمانك قد لقب أقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر قال يا نوح أنه ليس من اهلك ثم علل لانتفاء كونه من اهله بقوله أنه عمل غير صالح وفيه ايذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك فى دينك وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك ومن لم يكن على دينك وان كان أمس أقاربك رحما فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة فى دمة كقولها

قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين (47) قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم (48)

هود 46 - 49

... فانما هى إقبال وإدبار ...

أو التقدير أنه ذو عمل وفيه اشعار بانه إنما انجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لأنهم أهله وهذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوته عمل غير صالح على قال الشيخ أبو منصور رحمه الله كان عند نوح عليه السلام أن ابنه كان على دينه لأنه كان ينافق و إلا لايحتمل أن يقول ابنى من اهلى ويسأله نجاته وقد سبق منه النهى عن سؤال مثله بقوله ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا أنهم مغرقون فكان يسأله على الظاهر الذى عنده كما كان أهل النفاق يظهرون الموافقة لنبينا عليه السلام ويضمرون الخلاف له ولم يعلم بذلك حتى اطلعه الله عليه وقوله ليس من أهلك أى من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة فى السر والظاهر فلا تسألن اجتزا بالكسرة عن الياء كوفى تسألنى بصرى نسألنى مدنى تسألن شامى فحذف الياء واجتزأ

بالكسرة والنون نون التوكيد تسألن مكى ما ليس لك به علم بجواز
مسألته إنى أعظك أن تكون من الجاهلين هو كما نهى رسولنا بقوله
فلا تكونن من الجاهلين قال رب إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى
به علم أى من أن أطلب منك فى المستقبل مالا علم لى بصحته تأدبا
بأدبك واتعاظا بموعظتك و إلا تغفر لى ما فرط منى وترحمنى
بالعصمة عن العود إلى مثله أكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط
بسلام منا بتحية منا أو بسلامة من الغرق وبركات عليك هى الخيرات
النامية وهى فى حقه بكثرة ذريته وأتباعه فقد جعل اكثر الانبياء من
ذريته وأئمة الدين فى القرون البقاية من نسله وعلى أمم ممن معك
من للبيان فتراد الأمم الذين كانوا معه فى السفينة لأنهم كانوا
جماعات أو قيل لهم أمم لأن الأمم تتشعب منهم أو لابتداء الغاية أى
على امم ناشئة من معك وهى الامم إلى آخر الدهر وهو الوجه وامم
رفع بالابتداء سنمتعهم فى الدنيا بالسعة فى الرزق والحفض فى
العيش صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم إنما
حذف لأن ممن معك يدل عليه ثم يمسهم منا عذاب أليم أى فى
الآخرة والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين
ينشؤن ممن معك وممن معك اهم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار
نوح عليه السلام أبا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه
فى السفينة وعن محمد بن كعب دخل فى ذلك السلام كل مؤمن
ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر تلك
إشارة إلى قصة

تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من
قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين (49) وإلى عاد أخاهم هودا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون (50) يا
قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون
(51) ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم
مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين (52)

هود 49 - 52
نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها وهى من
أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعملها أنت ولا قومك اخبار أى تلك

القصة بعض أنباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا الوقت أو من قبل ايحائى اليك واخبارك بها فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع فى العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح ولقومه إن العاقبة فى الفوز والنصر والغلبة للمتقين عن الشرك و إلى عاد اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا أى وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحدوه مالكم من إله غيره بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور بالجر على على اللفظ إن أنتم إلا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء يا قوم لا اسئلكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الذى فطرنى ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لأن شانهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها إلا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجح ولم تنفع أفلا تعقلون إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا إلا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك ويا قوم استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا إليه من عبادة غيره يرسل السماء أى المطر عليكم مدرارا حال أى كثيرة الدرور ويزدكم قوة الى قوتكم إنما قصد استمالتهم إلى الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شيء إلى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة البطش والقوة وقيل أراد القوة بالمال أو على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والاولاد على الإيمان والاستغفار وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج قال له بعض حجابه إنى رجل ذو مال ولا يولد لى علمنى شيئا لعل الله يرزقنى ولدا فقال الحسن عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله

قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين (53) إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون (54) من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون (55) إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم (56) فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا

تضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ (57)

هود 52 - 57
الرجل فقال ألم تسمع قول هود و يزدكم قوة إلى قوتكم وقول نوح عليه السلام ويمددكم بأموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عنى وعما أدعوكم إليه مجرمين مصرين على إجرامكم وآثامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر وما نحن بتاركى ءالهتنا عن قولك هو حال من الضمير فى تاركى آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا أن يصدقوا مثلك فيما يدعوهم إليه اقناطا له من الإجابة إن نقول إلا اعتراك بعض ءالهتنا بسوء إن حرف نفى فنفى جميع القول إلا قولا واحدا وهو قولهم اعتراك أصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون وخبل وتقديره ما نقول قولا إلا هذه المقالة أى قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون من دونه أى من إشراككم ألهة من دونه والمعنى إنى أشهد الله أنى برئ مما تشركون واشهدوا أنتم أيضا إنى برئ من ذلك وجئ به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على إنى لا أحبك تهكما به واستهانة بحاله فكيدونى جميعا أنتم وآلهتكم ثم لا تنظرون لا تمهلون فانى لا أبالى بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم و إن تعاونتم على وكيف تضرنى آلهتكم وما هى إلا جماد لا يضرو لا ينفع وكيف تنتقم منى إذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلنى وتذهب بعقلى إنى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو ءاخذ بناصيتها أى مالكها لما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والأخذ بالناصية تمثيل لذلك إن ربى على صراط مستقيم إن ربى على الحق لا يعدل عنه أو إن ربى يدل على صراط مستقيم فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم هو فى موضع فقد ثتبتت الحجة عليكم ويستخلف ربى قوما غيركم كلام مستانف أى ويهلككم الله ويجئ بقوم اخرين يخلفونكم فى دياركم واموالكم ولا تضرونه تبوليكم شيئا من ضرر قط إذ لا يجوز عليه المضار و إنما تضرون أنفسكم إن ربى على كل شيء

ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ (58) وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد (59) وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود (60) وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب (61) قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب (62)

هود 57 - 62

حفيظ رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيبا على الأشياء كلها حافظا لها وكانت الأشياء مفتقرة إلى حفظه عن المضار لم يضر مثله مثلكم ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه وكانوا أربعة آلاف برحمة منا أى بفضل منا لابعملهم أو بالإيمان الذى أنعمنا عليهم ونجيناهم من عذاب غليظ وتكرار نجينا للتاكيد أو الثانية من عذاب الاخرة ول4ا عذاب أغلظ منه وتلك عاد إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال سبحوا فى الأرض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين أحد من رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد يريد رؤساءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل لأنهم الذين يجبرون الناس على الامور ويعاندون ربهم ومعنى اتباع امرهم طاعتهم واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين ألا أن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد تكرار إلا مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم والدعاء ببعدا بعد هلاكهم وهو دعاء بالهلاك للدلالة على أنهم كانوا مستاهلين له قوم هود عطف بيان لعاد وفيه فائدة لأن عادا عادان الاولى القديمة التى هى قوم هود والقصة فيهم و الاخرى إرم والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو انشأكم من الأرض لم ينشئكم منها إلا هو وانشاوهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم

واستعمركم فيها وجعلكم عمارها وأراد منكم عمارتها أو استعمركم من العمر أى اطال اعماركم فيها وكانت اعمارهم من ثلثمائة إلى ألف وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الانهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع مافيهم من الظلم فسأل نبى من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله إليه أنهم عمروا بلادى فعاش فيها عبادى فاستغفروه فاسألوه مغفرته بالإيمان ثم توبوا إليه إن ربى قريب دانى الرحمة مجيب لمن دعاه قالوا يا صالح قد كنت فينا فيما بيننا مرجواقبل هذا للسيادة والمشاورة فى الامور أو كنا نرجو أن تدخل فى ديننا وتوافقنا

قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير (63) ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب (64) فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب (65) فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز (66)

هود 62 - 66
على ما نحن عليه أتنهانا أن يعبد ما يبعد آباؤنا حكاية حال ماضية وإننا لفى شك مما تدعونا إليه من التوحيد مريب موقع فى الريبة من أرابه إذا أوقعه فى الريبة وهى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة قال يا قوم ارأيتم أن كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة نبوة إتى بحرف الشك مع أنه على يقين أنه على بينة لأن خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا إنى على بينة من ربى و أننى نبى على الحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربى فى أوامره فمن ينصرنى من الله فمن يمنعنى من عذاب الله إن عصيته فى تبليغ رسالته ومنعكم عن عبادة الاوثان فما تزيدوننى بقولكم أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا غير تخسير بنسبتكم إياى إلى الخسار أو بنسبتى إياكم إلى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية نصب على الحال قد عمل فيها مادل عله اسم الإشارة من معنى الفعل ولكم متعلق بآية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال فذروها تأكل فى ارض الله أى ليس عليكم رزقها مع أن لكم نفعها ولا تمسوها بسوء

عقر أو نحر فيأخذكم عذاب قريب عاجل فعقروها يوم الاربعاء فقال صالح تمتعوا استمتعوا بالعيش فى داركم فى بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أى يتصرف أو فى دار الدنيا ثلاثة أيام ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت ذلك وعد غير مكذوب أى غير مكذوب فيه فاتسع فى الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به أو وعد غير كذب على أن المكذوب مصدر كالمعقول فلما جاء أمرنا بالعذاب أو عذابنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا قال الشيخ رحمه الله هذا يدل على أن من نجى إنما نجى برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله ومن خزى يومئذ بإضافة الخزى إلى اليوم وانجرار اليوم بالإضافة وبفتحها مدنى وعلى لأنه مضاف إلى إذ وهو مبنى وظروف الزمان إذا أضيفت إلى الأسماء المبهمة والأفعال الماضية بنيت واكتسبت البناء من المضاف إليه كقوله

وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (67) كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود (68) ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ (69) فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط (70) وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب (71)

هود 66 - 71

... على حين عاتبت المشيب على الصبا ...

والواو للعطف وتقديره ونجيناهم من خزى يؤمئذ أى من ذلة وفضيحته ولا خزى أعظم من خزى من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه وجاز أن يريد بيؤمئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الاخرة إن ربك هو القوى القادر على ؟ تجية أوليائه العزيز الغالب باهلاك اعدائه وأخذ الذين ظلموا الصيحة اى صيحة جبريل عليه السلام فأصبحوا فى ديارهم منازلهم جاثمين ميتين كان لم يغنوا فيها لم يقيموا فيها ألا أن ثمودا كفروا ربهم ثمود حمزة وحفص ألا بعدا لثمود فالصرف للذهاب إلى الحى أو الأب الأكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة ولقد جاءت رسلنا جبريل وميكائيل وإسرافيل

أو جبريل مع أحد عشر ملكا إبراهيم بالبشرى هى البشارة بالولد أو بهلاك قوم لوط و الأول اظهر قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما قال سلام أمركم سلام سلم حمزة وعلى بمعني السلام فما لبث أن جاء بعجل فما لبث فى المجئ به بل عجل فيه أو فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة وكان مال إبراهيم البقر حنيذ مشوى بالحجارة المحماة فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم نكر وانكر بمعنى وكانت عادتهم أنه إذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه و إلا خافوه والظاهر إنه احس بانهم ملائكة ونكرهم لأنه تخوف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه دليله قوله وأوجس منهم خيفة أى أضمر منهم خوفا قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط بالعذاب و إنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا و إنما قالوا لا تخف لأنهم راوا أثر الخوف والتغير فى وجهه وامرأته قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم أو على رءوسهم تخدمهم فضحكت سرورا بزوال الخفية أو بهلاك أهل الخبائث أو من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب أو فحاضت فبشرناها باسحق وخصت بالبشارة لأن النساء أعظم سرورا بالولد من الرجال و لأنه لم يكن لها ولد وكان لإبراهيم ولد وهو اسمعيل ومن وراء اسحق ومن بعده يعقوب بالنصب شامى وحمزة وحفص بفعل مضمر دل عليه

قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب (72) قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد (73) فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط (74) إن إبراهيم لحليم أواه منيب (75)

هود 72 - 75

أى فبشرناها بإسحاق ووهبنا لها يعقوب من وراء اسحق وبالرفع غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول فى الدار زيد قالت يا ويلتا الالف مبدلة من ياء الإضافة وقرأ الحسن يا ويلتى بالياء على الأصل أألد و أنا عجوز ابنة تسعين سنة وهذا بعلى شيخا ابن مائة وعشرين سنة هذا مبتدأ وبعلى خبره وشيخنا حال والعامل معنى الإشارة التى دلت عليه ذا أو معنى التنبيه الذى دل عليه هذا إن هذا لشيء عجيب أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة

قالوا اتعجبين من أمر الله قدرته وحكمته و إنما انكرت الملائكة تعجبها لانها كانت فى بيت الآيات ومهبط المعجزات و الامور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيا ما يزدها سائر النساء الناشئات فى غير بيت النبوة و أن تسبح الله وتمجده مكان التعجيب و إلى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت ارادوا أن هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وهو كلام مستأنف علل به انكار التعجب كأنه قيل إياك والتعجب لأن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد إبراهيم و أهل البيت نصت على النداء أو على الاختصاص إنه حميد محمود بتعجيل النعم مجيد ظاهر الكرم بتأجيل النقم فلما ذهب عن إبراهيم الروع الفزع وهو ما اوجس من الخيفة حين نكر أضيافه وجاءته البشرى بالولد يجادلنا فى قوم لوط أى لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى فزغ للمجادلة وجواب لما محذوف تقديره أقبل يجادلنا أو يجادلنا جواب لما و إنما جيء به مضارعا لحكاية الحال والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته إياهم أنهم قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فهيا خمسون مؤمنا أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إن إبراهيم لحليم غير عجول على كل من أساء إليه أو كثير الاحتمال ممن آذاه صفوح عمن عصاه أواه كثير التأوه من خوف الله منيب تائب راجع إلى الله وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون

يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود (76) ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب (77) وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد (78) قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد (79)

التوبة كما حمله على الاستغفار لأبيه فقالت الملائكة يا إبراهيم
أعرض عن هذا الجدال و إن كانت الرحمة ديدنك إنه قد جاء أمر ربك
قضاؤه وحكمه وإنهم آتيهم عذاب غير مردود لا يرد بجدال وغير ذلك
عذاب مرتفع باسم الفاعل وهو آتيهم تقديره و إنهم يأتيهم ثم خرجوا
من عند إبراهيم متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية إبراهيم وقوم
لوط أربعة فراسخ ولما جاءت رسلنا لوطا اتوه ورأى هيأتهم وجمالهم
سيء بهم أحزن لأنه حسب أنهم انس فخاف عليهم خبث قومه و أن
يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وضاق بهم ذرعا تمييز أى وضاق
بمكانهم صدره وقال هذا يوم عصيب شديد روى أن الله تعالى قال
لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى
معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم اما بلغكم أمر هذه القرية قالوا
وما امرهم قال أشهد بالله أنها لشر قرية فى الأرض عملا قال ذلك
اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته
فأخبرت بهم قومها وجاءه قومه يهرعون إليه يسرعون كانما يدفعون
دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا
يعملون الفواحش حتى مرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك
جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء قال يا قوم هؤلاء بناتى
فتزوجوهن أراد أن يقى أضيفاه ببناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج
المسلمات من الكفار جائزا فى ذلك الوقت كما جاز فى الابتداء فى
هذه الامة فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة
بن أبى لهب و أبى العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان
مطاعان فأراد لوط أن يزوجهما ابنتيه هن أطهرلكم أحل هؤلاء مبتدأ
وبناتى عطف بيان وهن فصل وأطهر خبر المتبدا أو بناتى خبر هن
اطهر مبتدأ وخبر فاتقوا الله بإيثارهم عليهم ولا تخزون ولا تهينونى ولا
تفضحونى من الخزة أو ولا تخجلونى من الخزاية وهى الحياء وبالياء
أبو عمرو فى الوصل فى حتيفى فى حق ضيوفى فانه إذا خزى ضيف
الرجل أو جاره فقد خزى الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة
المروءة أليس منكم رجل رشيد أى رجل واحد يهتدى إلى طريق
الحق وفعل الجميل والكف عن السوء قالوا لقد علمت مالنا فى
بناتك

قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلي ركن شديد (80) قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب (81) فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود (82)

هود 79 - 83

من حق حاجة لأن نكاح الإناث أمر خارج عن مذهبنا فمذهبنا إتيان الذكران و إنك لتعلم ما نريد عنوا إتيان الذكور ومالهم فيه من الشهوة قال لو أن لى بكم قوة أو اوى إلى ركن شديد جواب لو محذوف أى لفعلت بكم ولصنعت والمعنى لو قويت عليكم بنفسى أو اويت إلى قوى أستند إليه و أتمنع به فيحمينى منكم فشبه القوى العزيز بالركم من الجبل فى شدته ومنعته روى أنه أغلق بابه حين جاءوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة مالقى لوط من الكرب قالوا يا لوط إن ركنك لشديد انا رسل ربك فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم فأذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء فإن فى بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتى قبلها لأنهم إذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره فأسر بالوصل حجازى من سرى بأهلك بقطع من الليل طائفة منه أو نصفه ولا يلتفت منك أحد بقلبه إلي ما خلف أو لا ينظر إلى ما ورءاه أو لا يتخلف منكم أحد إلا امرأتك مستثنى من فأسر بأهلك وبالرفع مكى وابو عمرو وعلى البدل من أحد وفى إخراجها مع اهله روايتان روى أنه اخرجها معهم وأمر ان لا يلتفت منهم أحد إلا هى فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها وروى أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين إنه مصبها ما اصابهم أى أن الامر وروى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا إن موعدهم الصبح فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل عليه السلام جناحه فى أسفلها أى أسفل قراها ثم رفعها

إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم وذلك قوله وامطرنا عليها حجارة من سجيل هى كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين منضود نعت لسجيل أى متتابع أو مجموع معد للعذاب مسومة نعت لحجارة أى معلمة للعذاب قيل مكتوب على كل واحد

مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد (83) وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط (84) ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (85) بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ (86)

هود 83 - 87

اسم من يرمى به عند ربك في خزائنه أو فى حكمه وما هى من الظالمين ببعيد بشىء بعيد وفيه وعيد لأهل مكة فإن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ظالمى امتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض جحر يسقط عليه من ساعه الى ساعه أو الضمير للقرى أى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها فى مسايرهم و إلى مدين اخاهم شعيبا هو اسم مدينتهم أو اسم جدهم مدين بن إبراهيم أى وارسلنا شعيبا إلى ساكنى مدين أو إلى بنى مدين قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال أى المكيال بالمكيال والميزان والموزون بالميزان إنى أراكم بخير بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو اراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من إحاطة العدو والمراد عذاب الاستئصال فى الدنيا أو عذاب الآخرة ويا قوم اوفوا المكيال والميزان اتموهما بالقسط بالعدل نهوا أولا عن عين القبيح الذى كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ثم ورد الأمر بالإيفاء الذى هو حسن فى العقول لزيادة الترغيب فيه وجيء به مقيدا بالقسط أى ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان ولا تبخسوا الناس اشياءهم البخس النقص كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من

الاشياء فنهوا عن ذلك ولا تعثوا فى الارض مفسدين العثى والعبث أشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل البخس والتطفيف عيثا منهم فى الأرض بقيت الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم إن كنتم مؤمنين بشرط أن تؤمنوا نعم بقية الله خير للكفرة أيضا لأنهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف إلا أن فائدتها تظهر مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولاتظهر مع عدمه لانغماس صاحبها فى غمرات الكفر وفى ذلك تعظيم للايمان وتنبيه على جلالة شأنه أو المراد إن كنتم مصدقين لى فيما أقول لكم وانصح به إياكم وما أنا عليكم بحفيظ لنعمه عليكم فاحفظوها بترك البخس قالوا يا شعيب أصلواتك وبالتوحيد كوفى غير أبى بكر

قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد (87) قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب (88) ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد (89)

هود 87 - 89

تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له ما تستفيد بهذا فكان يقول إنها تامر بالمحاسن وتنهى عن القبائح فقالوا على وجه الاستهزاء أصلواتك تأمرك أن تأمرنا بترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا أو أن نترك التبسط فى اموالنا ما نشاء من إيفاء ونقص وجاز أن تكون الصلوات آمرة مجازا كما سماها الله تعالى ناهية مجازا إنك لأنت الحليم الرشيد أى السفيه الضال وهذه تسمية على القلب استهزاء أو إنك حليم رشيد عندنا ولست تفعل بنا ما يقتضيه حالك قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ورزقنى منه من لدنه رزقا حسنا يعنى النبوة والرسالة أو مالا حلالا من غير بخس وتطفيف وجواب أرأيتم محذوف أى أخبرونى إن كنت على حجة واضحة من

ربى وكنت نبيا على الحقيقة أيصح لى أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون إلا لذلك يقال خالفنى فلان إلى كذا إذا قصده و أنت مول عنه وخالفنى عنه إذا ولى عنه و أنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفنى إلى الماء يريد أنه قد ذهب إليه و أراد و أنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما أريد أن اخالفكم إلى ما انهاكم عنه يعنى أن أسبقكم إلى شهواتكم التى نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم إن أريد إلا الإصلاح ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتى وامرى بالمعروف ونهى عن المنكر ما استطعت ظرف أى مدة استطاعتى للاصلاح ومادمت متمكنا منه آلو فيه جهدا وما توفيقى إلا بالله وما كونى موفقا لإصابة الحق فيما آتى وأذر إلا بمعونته وتأييده عليه توكلت اعتمدت و إليه انيب أرجع فى السراء والضراء جرم مثل كسب فى تعديه إلى مفعول واحد و إلى مفعولين ومنه قوله ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم أى لا يكسبنكم خلافى إصابة العذاب مثل ما اصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وهو الغرق والريح والرجفة وما قوم لوط منكم ببعيد فى الزمان فهم أقرب الهالكين منكم أو فى المكان فمنازلهم قريبة منكم أو فيما يستحق به الهلاك وهو الكفر والمساوى وسوى فى قريب وبعيد وقليل وكبير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر

واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود (90) قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز (91) قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط (92) ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (93)

هود 90 - 93

التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم يغفر لأهل الجفاء من المؤمنين ودود يحب أهل الوفاء من الصالحين قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول أى لا نفهم صحة ما تقول وإلا فكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الأنبياء وإنا لنراك فينا

ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا أن أردنا بك مكروها ولولا رهطك لرجمناك ولولا عشرتيك لقتلناك بالرجم وهو شر قتله وكان رهطه من أهل ملتهم فلذلك اظهروا الميل اليهم و الاكرام لهم وما أنت علينا بعزيز أى لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم و إنما يعز علينا رهطك لأنهم من اهل ديننا وقد دل إيلاء ضميره حرف النفى على أن الكلام واقع فى الفاعل لا فى الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال فى جوابهم يا قوم أرهطى اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب و إنما قال أرهطى اعز عليكم من الله الكلام واقع فيه وفى رهطه وانهم الأعزة عليهم دونه لأن تهاونهم به وهو نبى الله تهاون بالله وحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله ألا ترى إلى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهرى منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب كقولهم فى النسبة إلى الامس أمسى إن ربى بما تعملون محيط قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها ويا قوم اعملوا على مكانتكم هى بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن فهو مكين إذا تمكن من الشيء يعنى اعملوا قارين على جهتكم التى أنتم عليها من الشرك والشنآن لى أو اعملوا متمكنين من عداوتى مطبقين لها إنى عامل على حسب ما يؤتينى الله من النصرة والتأييد ويمكننى سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون اينا نأتيه عذاب يخزيه أى يفضحه وأينا هو كاذب أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف

ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (94) كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود (95) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين (96) إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد (97)

تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب فى زعمكم ودعوا كم وإدخال الفاء فى سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعها وصل تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون والاتيان بالوجهين للتفنن فى البلاغة وابلغهما الاستئناف وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم إنى معكم رقيب منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبة كالضريب بمعنى الضارب أو بمعنى المراقب كالعشير بمعنى المعاشر أو بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة صاح بهم جبريل فهلكوا و إنما ذكر فى آخر قصة عاد ومدين ولما جاء وفى آخر قصة ثمود ولوط فلما جاء لانهما وقعا بعد ذكر الموعد وذلك قوله إن موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجئ بالفاء الذى هو للتسبيب كقولك وعدته فلما جاء الميعاد كان كبت و اما الآخريان فقد وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلها ما قبلها كما تعطف قصة على قصة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين الجاثم اللازم لمكانه لا يريم يعنى أن جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فى ديارهم أحياء متصرفين مترددين ألا بعدا لمدين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى إلى قوله كما بعدت ثمود وقرئ كما بعدت والمعنى فى البناءين واحد وهو نقيض القرب إلا أنهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضمانى الخير والشر فقالوا وعد واوعد ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين المراد به العصا لأنها أبهرها إلى فرعون وملئه فاتبعوا أى الملأ أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد هو تجهيل لمتبعيه حيث تابعوه إلى أمره وهو ضلال مبين وذلك أنه ادعى الألوهية وهو بشر مثلهم وجاهز بالظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان ومثله بمعزل عن الألوهية وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلموا أن مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس فى أمره رشد قط أو المراد وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم

يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود (98)

وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود (99) ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد (100) وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب (101) وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد (102) إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (103)

هود 98 - 103

قومه يوم القيامة أى يتقدمهم وهم على عقبه تفسيرا له وإيضاحا اى كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد يستعمل فى كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغى فى كل ما يذم ويقال قدمه بمعنى تقدمه فأوردهم النار ادخلهم وجئ بلفظ الماضى لأن الماضى يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة يعنىكما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه وبئس الورد المورد و المورود الذى ورده شبه بالفارط الذى يتقدم الواردة إلى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قال وبئس الورد المورود الذى يردونه النار لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش والنار ضده واتبعوا فى هذه أى الدنيا لعنة ويوم القيامة أى يلعنون فى الدنيا ويلعنون فى الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم أى بئس العون المعان أو بئس العطاء المعطى ذلك مبتدأ من انباء القرى خبر نقصه عليك خبر عبد خبر أى ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها من القرى قائم وحصيد أى بعضها باق وبعضها عافى الأثر كالزرع القائم على ساقه والذى حصد والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب وما ظلمناهم بإهلاكنا إياهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما به أهلكوا فما أغنت عنهم آلهتهم فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله التى يدعون يعبدون وهى حكاية حال ماضية من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك عذابه ولما منصوب بما أغنت وما زادوهم غير تتبيب تخسير يقال تب إذا خسر وتبيه غيره اوقعه فى الخسران يعنى وما أفادتهم عبادة غير الله شيئا بل أهلكتهم وكذلك محل الكاف الرفع أى ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك إذا اخذ القرى أى اهلها وهى ظالمة حال من القرى إن اخذه أليم شديد مؤلم شديد صعب على المأخوذ وهذا تحذير لكل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها فعلى كل

ظالم أن يبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال إن فى ذلك فيما قص الله من قصص الأمم الهالكة لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة أى اعتقد صحته ووجوده ذلك إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس

وما نؤخره إلا لأجل معدود (104) يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد (105) فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق (106) خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد (107)

هود 103 - 107
هو مرفوع بمجموع كما يرفع فعله إذا قلت يجمع له الناس و إنما آثر اسم المفعول على فعله لما فى اسم المفعول من دلالته على ثبات معنى الجمع لليوم وانه أثبت أيضا لاسناد الجمع إلى الناس وانهم لا ينفكون منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب وذلك يوم مشهود أى مشهود فيه فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به أى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد وما نؤخره أى اليوم المذكور الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها والعد و إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره إلا لأجل معدود إلا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف أو ما نؤخر هذا اليوم إلا لتنتهى المدة التى ضربناها لبقاء الدنيا يوم يأت والياء مكى وافقه أبو عمرو ونافع وعلى فى الوصل وإثبات الياء هو الأصل إذ لا علة توجب حذفها وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير فى لغة هذيل ونظيره ما كنا نبغ وفاعل يأت ضمير يرجع الى قوله يوم مجموع له الناس لا اليوم المضاف إلى يأت ويوم منصوب باذكر أو بقوله لا تكلم أى لا تتكلم نفس إلا بإذنه أى لا يشفع أحد إلا بإذن الله من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه فمنهم الضمير لأهل الموقف لدلالة لا تكلم نفس عليه وقد مر ذكر الناس فى قوله مجموع له الناس شقى معذب وسعيد أى ومنهم سعيد أي منعم فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير هو أول نهيق الحمار وشهيق هو آخره أو هما إخراج النفس ورده والجملة فى موضع الحال والعامل فيها الاستقرار الذى فى النار خالدين فيها حال مقدرة مادامت السموات والأرض فى موضع النصب أى مدة دوام

السموات والأرض والمراد سموات الآخرة وأرضها وهى دائمة
مخلوقة للابد والدليل على أن لها سموات وارضا قوله يوم تبدل
الأرض غير الأرض والسموات وقيل مادام فوق وتحت و لأنه لا بد
لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم إما سماء أو عرش وكل ما أظلك فهو
سماء أو هو عبارة عن التأبيد ونفى الانقطاع كقول العرب مالاح
كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد إلا ما شاء ربك هو استثناء من
الخلود فى عذاب النار وذلك لأن أهل النار لا يخلدون فى عذاب النار
وحده بل يعذبون بالزمهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار أو
ماشاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة
فيقال لهم الجهنميون وهو المستثنون من أهل الجنة أيضا لمفارقتهم
اياها بكونهم فى النار أياما فهؤلاء لم يشقوا شقاوة من يدخل النار
على التأبيد ولا سعدوا سعادة من لا تمسه النار وهو مروى عن ابن
عباس والضحاك وقتادة رضى الله عنهم إن ربك فعال لما يريد
بالشقى والسعيد

وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات
والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ (108) فلا تك في مرية
مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا لموفوهم
نصيبهم غير منقوص (109) ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب (
110)

هود 108 - 111
واما الذين سعدوا سعدوا حمزة وعلى وحفص سعد لازم وسعده
يسعده متعد ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما
شاء ربك هو استثناء من الخلود فى نعيم الجنة وذلك أن لهم سوى
الجنة ما هو اكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه أو معناهاإلا من
شاء أن يعذبه بقدر ذنبه قبل أن يدخله الجنة وعن أبى هريرة رضى
الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الاستثناء فى الآيتين
لأهل الجنة ومعناه ما ذكرنا أنه لا يكون للمسلم العاصى الذى دخل
النار خلود فى النار حيث يخرج منها ولا يكون له ايضا خلود فى الجنة
لأنه لم يدخل الجنة ابتداء والمعتزلة لما لم يروا خروج العصاة من

النار ردوا الأحاديث المروية فى هذا الباب وكفى به اثما مبينا عطاء غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية كقوله لهم أجر غير ممنون وهو نصب فى المصدر أى اعطوا عطاء قيل كفرت الجهمية بأربع آيات عطاء غير مجذوذ أكلها دائم وما عند الله باق لا مقطوعة ولا ممنوعة لما قص الله قصص عبدة الأوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلاتك فى مرية مما يعبد هؤلاء أى فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص فى سوء عاقبة عبادتهم لما اصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل يريد أن حالهم فى الشرك مثل حال آبائهم وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزلن بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهى عن المرية وما فى مما وكما مصدرية أو موصولة أى من عبادتهم وكعبادتهم أو مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وإنا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم غير منقوص حال من نصيبهم أى كاملا ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف فى القرآن وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك أنه لا يعاجلهم بالعذاب لقضى بينهم بين قوم موسى أو قومك بالعذاب المستأصل وإنهم لفى شك منه من القرآن أو من العذاب مريب من أراب الرجل إذا كان ذا ريبة على الإسناد المجازى و إن كلا التنوين عوض عن المضاف إليه يعنى و إن كلهم أى و إن جميع المختلفين فيه و إن مشددة لما مخفف بصرى وعلى ما مزيدة جىء بها ليفصل بها بين لام إن ولام

وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير (111)
فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير (
112) ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون
الله من أولياء ثم لا تنصرون (113)

هود 111 - 113

ليوفينهم وهو جواب قسم محذوف واللام فى لما موطئة للقسم والمعنى و إن جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم أى جزاء اعمالهم

من ايمان وجحود وحسن وقبيح بعكس الاولى أبو بكر مخففان مكى ونافع على إعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذى هو التثقيل ولإن إن تشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن ولم يك فكذا المشبه به مشددتان غيرهم وهو مشكل واحسن ما قيل فيه أنه من لممت الشيء جمعته لما ثم وقف فصار لما ثم أجرى الوصل مجرى الوقف وجاز أن يكون مثل الدعوى والثروى وما فيه ألف التأنيث من المصادر وقرأ الزهرى و إن كلا لما بالتنوين كقوله اكلا لما وهو يؤيد ما ذكرنا والمعنى وان كلا ملمومين أى مجموعين كأنه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وقال صاحب الإيجاز لما فيه معنى الظرف وقد دخل فى الكلام اختصار كأنه قيل و إن كلا لما بعثوا ليوفينهم ربك اعمالهم وقال الكسائي ليس لى بتشديد لما علم إنه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر فى استقم وجاز للفاصل يعنى فاستقم أنت وليسقتم من تاب عن الكفر ورجع إلى الله مخلصا ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله إنه بما تعملون بصير فهو مجازيكم فاتقوه قيل ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كان اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتنى هود ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ولا تميلوا قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب لاتباع الكفرة أى لا تركنوا إلى القادة والكبراء فى ظلمهم وفيما يدعونكم إليه فتمسكم النار وقيل الركون اليهم الرضا بكفرهم وقال قتادة ولا تلحقوا بالمشركين وعن الموفق أنه صلى خلص الإمام فلما قرأ هذه الآية غشى عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الذين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا وقال سفيان فى جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك وعن الأوزاعى ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى ارضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم النار وأنتم على هذه الحالة ومعناه ومالكم من دون الله من اولياء يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لأنه